مكتبة الأسرة 1999

مهرجان القراءة للجميع

روائع الأدب العالمى للناشئين

ترنيمة عيد الميلاد وفرقع لوز فى الدفاية

تشارلس ديكنز



لوحة للفنان : محمود الهندى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ترنيمة عيد الميلاد

تـأليف : تشارلس ديكنـز
ترجمة : صبرى الفضل
مراجعة : مختار السويفى

مقدمـــة

يعتبر تشارلس ديكنز (ولد فى ٧ فبراير ١٨١٢ وتوفى فى ٩ يونيو ١٨٧٠) قمة من قمم تاريخ الأدب الانجليزى . وتعتبر رواياته أكثر الأعمال تخليدا للعصر الفكتورى ، ومن بين أعظم الكلاسيكيات فى كل الأدب القصصى . كما يعتبره النقاد كاتبا فكاهيا ذا حس أخلاقى قوى . وهو مشهور بصفة خاصة بشخصياته الكوميدية الحية ونقده الاجتماعى البناء . وبالرغم من أنه لايصف حلولا للمظالم الاجتماعية التى سادت فى عصره ، الا أنه كان يصورها بوضوح لاذع لاهوادة فيه فجعل بذلك من نفسه نصيرا للفقراء والمقهورين .

وفى روايات ديكنز توليفة فريدة من الواقع الممزوج

بالخيال · فهى بانوراما ذكية لعصره ورؤية واضحة فى الطبيعة الانسانية ·

واعماله تلقى القبول عند البسطاء ورفيعى الثقافة ، وعند الفقراء وعند الملكة ذاتها ·

وقصة « ترنيمة عيد الميلاد » من أحب قصص عيد الميلاد فى اللغة الانجليزية بأشخاصها الرئيسية : ابن عزير سكروج ، وعائلة كراتشيت وتاينى تيم وشبح مارلى وأرواح عيد الميلاد الثلاث · والقصة تصور بطريقة مسرحية تحول ابن عزير من عجوز متذمر شحيح الى شخص كريم دافىء القلب · ودخلت كلمة «سكروج» منذ ذلك الحين فى اللغة الانجليزية كمصطلح يصف البخيل · فسكروج يعتبر عيد الميلاد « هراء » ، ويرفض أن يعتبره من الأعياد · وفى أمسية من أمسيات عيد الميلاد يحلم بزيارة شبح شريكه المتوفى جاكوب مارلى الذى حذر سكروج بأن يغير من طريقته فى الحياة · وتظهر ثلاث أرواح تمثل عيد الميلاد الماضى والحاضر والمستقبل ، ويقدمون له سلسلة من الرؤى

التى تجعل سكروج يدرك أن وجوده كئيب وشحيح ·
واخذ يفهم الروح الحقيقية لعيد الميلاد عندما شاهد احتفالا بسيطا لكنه كان صادرا من القلب فى بيت بوب كراتشيت الذى يعمل كاتبا عنده ·

وعندما استيقظ سكروج فى صباح عيد الميلاد ، كان قد أصبح رجلا متغيرا ، يأخذ الهدايا ويزور بيت كراتشيت ، وهناك يردد من القلب صرخة ابن كراتشيت الأعرج تاينى تيم « بارك الله فى كل منا » ·

وكانت هذه القصة الأولى فى سلسلة حكايات أعياد الميلاد التى نشرها ديكنز فيما بين عامى ١٨٤٣ ـ ١٨٤٨ ، يليها : رنين الأجراس ، والحظ الطيب ، ومعركة الحياة ، والرجل الممسوس ·

وكما نرى ديكنز فى ترنيمة عيد الميلاد يحتج ضد الجشع واللامبالاة عند بعض الناس نحو معاناة غيرهم نجده فى القصة الثانية الحظ الطيب يبطن الحبكة الوجدانية بنقد اجتماعى شديد ·

وكما نرى فى معظم أعمال ديكنز ، فكل شىء فى عالمه أكبر من الحياة · الأشخاص والأماكن والأشياء أكثر غرابة ، وأكثر سخرية ، وأكثر فسادا ، وأكثر فتنة ، وأكثر عتمة ، وأكثر جذالة ، وأكثر كاريكاتورية عن الواقع · ولم يقف خيال ديكنز على ابداع هذا العالم فقط بل أضفى أيضا على بعض شخصياته وأحداث رواياته دلالة نموذجية بل وحتى رمزية ·

ونرى براعة ديكنز فى شخصياته وفلسفته التى كان يريد بها أن تسود روح عيد الميلاد السنة كلها ·

ومن شخصيات ديكنز الخالدة التى لاتنسى : مستر ميكاوبر ، أوليفر تويست ، أورياه هيب ، سكروج ومستر بكويك ·
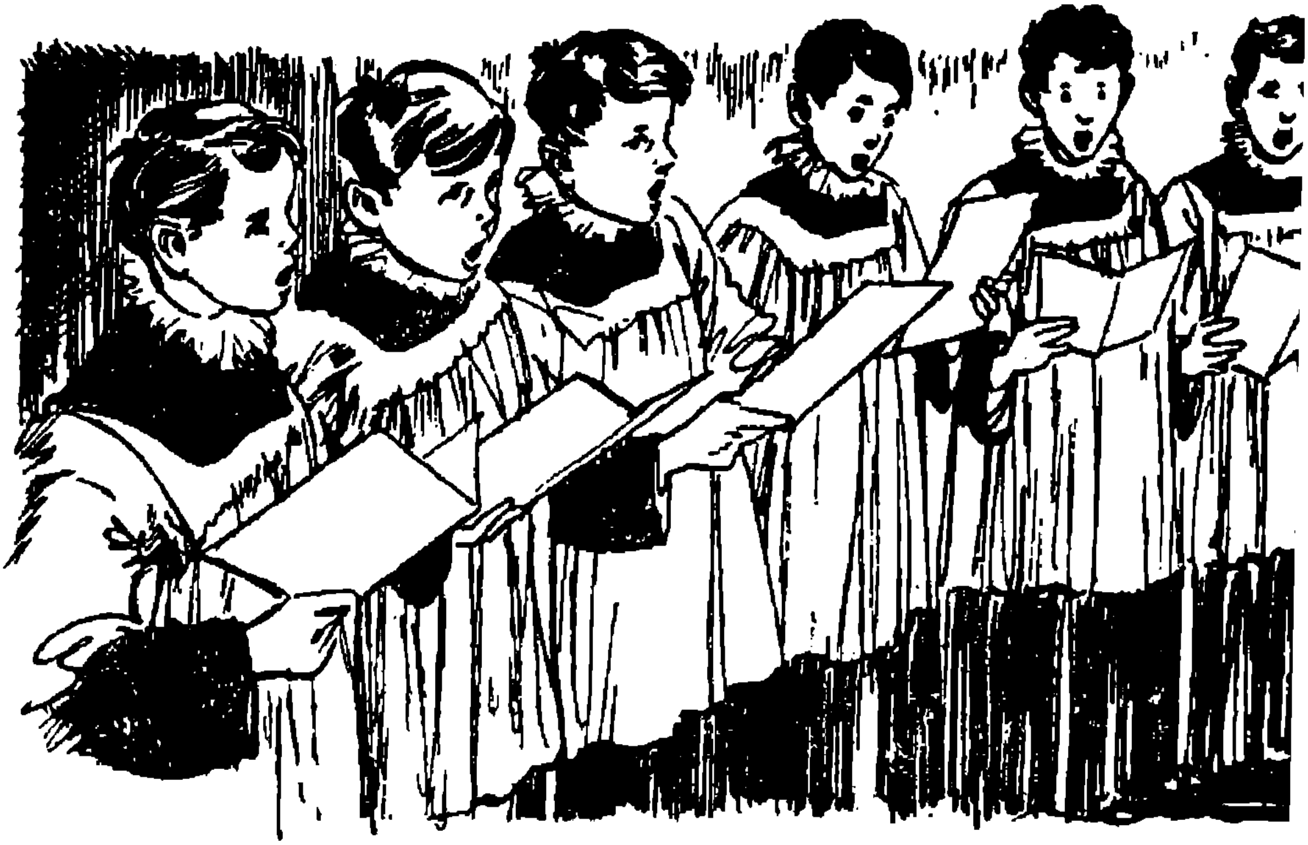
والآن أيها القارىء العزيز هيا بنا لنتمتع بقراءة رواية «ترنيمة عيد الميلاد» ·· ورواية «فرقع لوز فى الدفاية» ·· مع الشخصيات التى لاتنسى ومع الدعابة البارعة والسخرية اللاذعة ·

« المترجم »

الرواية الأولى

ترنيمــة عيــد الميــلاد

A CHRISTMAS CAROL



ترنيمة عيد الميلاد تمجيدا لمولد المسيح عليه السلام .

الفصل الأول

شبح مارلى

كانت الأسماء المدونة على باب المكتب هى :
« سكروج ومارلى » ·

ومارلى مات · « مات كمسمار الباب » ، كما يقول المثل · ولا أدرى لماذا من المفروض أن يكون مسمار الباب أكثر موتا عن أى نوع آخر من المسامير ، لكن مارلى قد مات · مات منذ سبع سنوات ·

ولم يزل سكروج اسم مارلى العجوز أبدا ··

وظل جاثما على باب المكتب بعد ذلك بسنوات :

« سكروج ومارلى » · وكان المكتب يعرف بسكروج

ومارلى • وأحيانا ينادى الناس الجـــدد على المكتب سكروج « بسكروج » وأحيانا ينادونه « بمــارلى » ، لكنه كان يرد على كلا الاسمين •

كان رجلا جامدا فى كل مايختص بشئون المــال ، جامدا كالحجر • وكان متحفظا كتوما ، عديم الأصدقاء وحيدا • وكانت البرودة داخله تجمد وجهه العجوز : كانت عيناه حمراوين وشـــفتاه الرفيعتان زرقاوين • ويبدو أن البرد قد جمد طريقته فى المشى • وكان الشعر فى راسه وفوق عينيه أبيض ، أبيض مثل الثلج • وكان يحمل برودته معه دائما أينما ذهب • فكان يثلج مكتبه فى الصيف ، وكان فى وقت عيد الميلاد فى نفس برودة الطقس •

لم يوقف أحد سكروج أبدا فى الشارع ليقول له :

ـ عزيزى سكروج ، كيف حالك ؟ متى ستأتــى وترانى ؟

ولا كان الشحاذون يسألونه احسانا • ولا الأطفال يسألونه :

ـ كم الساعة ؟

ولا أحد سأله ذات مرة فى حياته عن الطريق الى المكان الفلانى · حتى كلاب الناس فاقدى البصر بـدت تعرفه ، وعندما كانوا يرونه قادما ، كانوا يســـحبون أصحابهم داخل دورهم · .

لكن سكروج لم يكن يهتم · كان يحب ذلك · كان يحب أن يشق طريقه عبر سبل الحياة المزدحمة محذرا كل الناس أن يبتعدوا عنه ·

وفى الأمسية السابقة لعيد الميلاد · جلس سكروج مشغولا فى مكتبه · كان الطقس باردا ، واستطاع أن يسمع الناس فى الخارج وهم يصفقون بأيديهم ليحتفظوا بدفئها ·

وكان الضباب كثيفا حينما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ، فساد الظلام فى الشوارع ولم يظهر للنهار نور على الاطلاق · فكانت الشموع مشتعلة فى نوافـذ المكاتب المجاورة ، ملقية علامات حمـــراء على الهواء

المبنى · وجاء الضباب منسكبا فى كل شق ومتسللا من كل ثقب مفتاح · لقد كان الضباب كثيفا فلا تكاد ترى المنازل المقابلة ·

كان باب مكتب سكروج مفتوحا حتى تظل عينه على كاتبه الذى يعمل فى غرفة صغيرة فى الجانب الآخر من الممر · وكان الكاتب قد أشعل قليلا من الفحم فى المدفأة ، ولأن باب حجرته كان مفتوحا ، فقد كانت الحجرتان تبدوان كحجرة واحدة ولم يستطع الكاتب أن يضيف ولو قليلا من الفحم الى نار المدفأة لأن سكروج يحتفظ بصندوق الفحم فى حجرته ·

وصاح صوت بهيج ·

ـ عيد ميلاد سعيد ياخال ، وليباركك الله !

كان صوت ابن أخت سكروج ·

قال سكروج :

ـ باه ! هراء ! كلام فارغ !

كان ابن أخت سكروج قد سحق نفسه بمشـــية سريعة فى الهواء البارد ، لذلك فقد كان متوهجها تماما فكان وجهه ساطعا ، وعيناه مشرقتين ويخرج الدخان من فمه فى الهواء البارد ٠

قال :

ـ هل تقول ان عيد الميلاد كلام فارغ ياخالى ؟ ٠٠ انك لاتعنى ذلك ، انا متأكد !

قال سكروج :

ـ نعم أعنى ذلك ، فكيف يكون عيد الميلاد سعيدا او بأى حق وبأى سبب تكون سعيدا ؟ انك فقير جدا فكيف تكون سعيدا ؟ !

فقال ابن الاخت ضاحكا :

ـ وبأى حق تكون أنت جادا وحزينا هكذا ؟ انك غنى بشكل كاف ٠

لم تكن لدى سكروج اجابة جاهزة أفضل ، لذلك قال :

ـ باه !

وأتبعها ثانية بكلمة :

ـ هراء !

فقال ابن الأخت :

ـ لاتكن غاضبا !

فقال الخال :

ـ وماذا أكون غير ذلك ، عندما أعيش وسط عالم من الحمقى .. عيد ميلاد سعيد ؟! كيف يكون عيدا سعيدا وهو وقت وقوعك فى الديون التى ليس لديك المال لسدادها ، وهو الوقت الذى تجد نفسك فيه وقد كبر عمرك سنة أخرى ، وهو الوقت الذى تتطلع فيه على دفاتر حساباتك فتجد أن مالك اقل مما كان لديك فى عيد الميلاد الماضى ؟

ثم سكت لحظة واضاف بغضب :

ـ اذا كان الأمر بيدى ، فكل أحمق يقـــول عيد

ميلاد سعيد يجب أن يغلى مع عشائه فى عيد الميلاد !

فقال ابن الأخت محتجا :

ـ خالى !!

فقال الخال :

ـ ياابـن الأخت ! احتفل بعيد الميــلاد بطريقتك الخاصة ودعنى أقيمه بطريقتى ٠

فقال ابن أخت سكروج :

ـ تقيمه ؟ ولكنك لاتقيمه !

ـ وما النفع الذى عاد لك منه ؟

قال ابن الأخت :

ـ لقد أعاد على كثيرا من النفع ٠ فعيد الميلاد وقت طيب ٠٠ وقت التسامح والكرم والسرور ٠ انـــه الوقت الوحيد فى السنة عندما يحاول الرجال والنساء أن يفتحوا قلوبهم المغلقة بلا كلفة ، ويفكروا فيما هـم

دونهم وكأنهم رفاق سفر فى رحلة الحياة ، لا كعنصر أو جنس آخر يسلكون طرقا منفصلة · ولذلك ، ياخال ، بالرغم من أن عيد الميلاد لم يضع أى ذهب أو فضة فى جيبى ، فأعتقد أن عيد الميلاد قد فعل لى خيرا كثيرا وسيفعل ، وأقول : « بارك الله فيه » !

قال سكروج :

ـ لماذا لم تلتحق بالحكومة وتشنف الآذان بخطبك ؟

ـ لاتغضب ياخالى · تعال وتناول العشاء معنا غدا ·

ـ قال سكروج :

ـ بالطبع لا ! وداعا !

ـ لكنى لا أريد شيئا منك · ولا أطلب شيئا · لماذا لانكون على وفاق ؟

قال سكروج :

ـ وداعا !

ـ أنا آسف لأنك مصر على عدم الانضمام الينا . اننا لم نتشاجر أبدا . على الأقل أنا لم أتشاجر أبدا . لكن بشرف عيد الميلاد لقد قمت بهذه المحاولة بوازع المودة وسأظل أحتفظ بمشاعر عيد الميلاد الكريمة . لذلك عيد ميلاد سعيد ياخالى !

قال سكروج :

ـ وداعا !

ـ وعام جديد سعيد .

قال سكروج :

ـ وداعا :

وتوقف ابن الأخت عند الباب لكى يقول « عيد ميلاد سعيد » للكاتب الذى ، بالرغم من أنه كان يتأفأف من البرد ، الا أنه كان أكثر دفئا من سكروج . وأجاب الكاتب :

ـ عيد سعيد لك يا سيدى !

قال سكروج ، الذى قدسمع ما قاله الكاتب :

ـ هناك شخص آخر ! كاتبى بخمسة عشر شلنا فى الأسبوع وزوجة وأسرة ، ويتكلم عن عيد ميـــلاد سعيد ! لابد أنه مخبول !

وعندما فتح الكاتب الباب ليدع ابن أخت سكروج يخرج سمح لرجلين بالدخول . كانا فى ملابس محترمة ووقفا خالعين قبعتهما فى مكتب سكروج . وكانت معهما دفاتر وأوراق يحملانها فى أيديهما .

قال واحد منهما ناظرا فى كشف مكتوب :

ـ مكتب سكروج ومارلى ، أليس كذلك ؟ هل أنا أتحدث لمستر سكروج أم مستر مارلى ؟

أجاب سكروج : .

ـ لقد توفى مستر مارلى منذ ســـبع سنوات . ولقد توفى فى مثل هذه الليلة .

قال السيد :

ـ فى هذه المناسبة السعيدة من السنة يامستر سكروج ، نحن نحاول عادة أن نفعل شيئا للفقــراء · انهم يقاسون كثيرا فى وقتنا الحالى · الاف عديدة منهم ليس لديهم طعام ولا دفء ، وكثيرون منهم ليس لديهم بيوت يأوون اليها ·

فسأل سكروج :

ـ ألا توجد سجون ؟

قال السيد :

ـ توجد سجون كثيرة ·

ـ الا توجد اصلاحيات يمكن للفقراء أن يذهبوا اليها ؟

قال السيد :

ـ توجد ·

قال سكروج :

ـ لقد خفت مما قلت أن يكون قد حدث ما يمنع السجون والاصلاحيات من أداء عملهـا المعتاد ، أنا سعيد أن أسمع أن السجون والاصلاحيات مازالت موجودة ٠

قال السيد :

ـ من الصعب أن تجعل السجون والاصلاحيات الناس سعداء وقت عيد الميلاد ٠ بعض منا يحاول جمع المال لشـراء بعض الطعـام والدفء للفقراء ٠ كم ستعطينا ؟

قال سكروج :

ـ لاشىء ! أنا لا أسعد نفسى شخصيا فى وقت عيد الميلاد ، وليس لدى المال لأجعل الناس الآخرين سعداء ٠ وداعا ياسادة !

وغادر السيدان ، بعد أن وجدا عدم الجدوى من النقاش ٠

اصبح الضباب اكثر شدة ، وأصبح الظلام أكثر

ظلمة ، والبرد أكثر برودة · وأخيرا جاءت ساعة اغلاق المكتب · ونزل سكروج من على كرسيه · وأطفأ الكاتب شمعته وارتدى قبعته ·

وقال سكروج :

ـ أتريد ان تأخذ أجازة غدا ، على ما أظن ؟

ـ نعم سيدى ، اذا كان ذلك يناسبك ؟

قال سكروج :

ـ انه لايناسبنى ، وهـــو ليس من العـــدل أو الصواب ·· اذا كنت أدفع لك ثلاثة شلنات أقل مقابل ذلك الوقت الضائع ، لظننت أنى ظالم لك ·

فابتسم الكاتب ·

وقال سكروج :

ـ ومع ذلك ، لاتعتقد انه ظلم لى عندما أدفع لك مقابل يوم لاتعمل فيه شيئا ·

قال الكاتب :

ـ انه يوم فى السنة ٠

قال سكروج :

ـ ذلك ليس سببا وجيها لسرقة ثلاثة شلنات من جيبى فى الخامس والعشرين من ديسمبر من كل سنة ٠ كن هنا مبكرا فى الصباح التالى ٠

ووعد الكاتب أن يفعل ٠ وخرج سكروج ، وأغلق الكاتب المكتب وركض الى بيته بأسرع ما يمكنه ، ليلعب مع أطفاله ٠

وتناول سكروج العشاء فى أحد المحلات وذهب للبيت ٠٠ كان يسكن فى منزل كان ملكا لمارلى ٠ وكانت شقته معتمة وغير مريحة فى منزل قديم له فناء معتم ٠ وبقية الشقق فى المنزل كانت مكاتب ٠ فلم يكن يعيش هناك سوى سكروج ٠

كانت هناك « سقاطة » دقاقة كبيرة على الباب ، وكانت مصنوعة على شكل وجه انسان ٠ وعندما جاء سكروج الى الباب وأوشك أن يفتحه ، تطلع الى الدقاقة



« سقاطة » الباب على شكل وجه انسان

ورأى فى الدقاقة وجها يشبه وجه مارلى ! كانت العينان مفتوحتين ومثبتتين عليه ، وبدا الشعر يتحرك مع الريح • وسكن قلب سكروج ! ثم عندما نظر ثانية كانت الدقاقة كما هى من قبل •

فتح الباب ودخل واشعل شمعة • لكن قبل أن يغلق الباب ، نظر ثانية وكأنه يتوقع رؤية قفا مارلى على الجانب الآخر من الباب • ثم أغلق الباب ، وقال :

– بوه ! هراء !

صعد سكروج الى شقته • وقبل أن يغلق بابه الثقيل مشى فى أرجاء الشقة ليرى أن كل شىء على مايرام ، وتذكر ذلك الوجه الذى رآه على الباب الخارجى • دخل حجرة الجلوس وحجرة النوم وحجرة الخزين • كل شىء كان على مايرام • لم يكن هناك أحد تحت المائدة ، ولا أحد تحت السرير •

كانت هناك نار صغيرة مشتعلة فى الموقد وإناء به مشروب ساخن بجانبه • وأغلق باب شقته بالمفتاح

ثم ذهب وجلس بجانب الموقد · وكانت رءوس الأنبياء المذكورين فى الانجيل منحوتة في الحجر حول الموقد ، وعندما كان سكروج ينظر اليهم كان كل واحد منهم يبدو وجها لمارلى ·

فقال :

ـ هراء ! خداع !

ومشى عبر الحجرة · ثم عاد وجلس ثانية · وتطلع الى أعلى فرأى جرسا ، جرس لم يعد مستعملا لكنه مازال معلقا فى الحجرة · وأثناء تطلعه اليه رأى الجرس يتحرك ، بهدوء فى البداية فلا يكاد يصدر صوتا ، ثم رن بصوت مرتفع ، وهكذا فعل كل جرس في المنزل · ثم فجأة توقف رنين تلك الأجراس ·

وكانت توجد ضجة تحت وكأن شخصا ما كان يسحب سلسلة ثقيلة · وصعدت السلم نحو بابه مباشرة ·

فقال سكروج :

ـ انه هراء ! خداع ! لن أصدقه !

ودخلت عبر الباب الثقيل ومرت فى الحجرة أمام عينيه · واللهب الخامد قفز متوهجا فى الموقد ·

وكان نفس الوجه ، هو ذاته ··· مارلى مرتديا نفس الملابس التى كان يرتديها دائما أثناء حياته · لقد التفت السلسلة من حوله وامتدت من خلفه كالذيـل · كانت مصنوعة من صناديق ادخار النقود ، ومفاتيح ، وأقفال ، ودفاتر محاسبة ، وسندات وأكياس نقود · وأثناء نظر سكروج اليه ، كان يستطيع أن يرى الأشياء من خلال جسمه ·

قال سكروج فى صوته البارد :

ـ لماذا ؟ ماذا تريد منى ؟

ـ كثيرا !

نعم انه صوت مارلى !

ـ من أنت ؟

ـ اسألنى من كنت !



شبح مارلي يزور سكروج .

قال سكروج :

ـ من كنت اذن ؟

قال الشبح :

ـ فى الحياة كنت يعقوب مارلى · انك لا تؤمن بـــى ·

قال سكروج :

ـ لا ، لا اومن بك ·

ـ انك لا تصدق عينيك ·

قال سكروج :

ـ لا ، لا اصدق · فانا لا اثق دائما فى عينى ، فيمكن لشىء صغير ان يؤثر على نظر الانسان · فاذا اكلت قطعة من الخبز او بعضا من اللحم غير المطهى جيدا ، قد يجعل بصرى يرى اشـــياء مغلوطة · هذا خداع ! اقول لك خداع ·

عندئذ صرخ الشبح صرخة مخيفة وهز سلسلته بشكل عنيف وفظيع جعل سكروج يتشبث بكرسيه لينقذ نفسه من السقوط فاقد الحس ٠ ثم خلع الشبح قطعة القماش التى كانت مربوطة حول رأسه ، فسقط فمه مفتوحا مثل فم الميت ٠

وسقط سكروج راكعا على ركبته ومد يديه أمام وجهه متوسلا فى صراخ :

ـ الرحمة ! لماذا جئت لتزعجنى ؟

قال الشبح :

ـ والآن ، هل تؤمن بى أم لا ؟

قال سكروج :

ـ أومن ، أومن ! لكن لماذا يجب على أشباح الموتى أن تمشى وتتجول فى الأرض ، ولماذا يأتون الى ؟

فأجاب الشبح :

ـ كل انسان يجب أن يمشى فى حياته بين رفاقه

من الناس ويجول • ويجب عليه أن يشاركهم احزانهم وافراحهم لكن اذا لم تفعل روح انسان ذلك فى الحياة ، اذن فيجب عليها أن تجول عبر العالم بعد الموت وترى مالا تستطيع أن تشارك فيه وكانت لابد ان تشارك فيه على الأرض وتحوله الى سعادة •

وصاح الشبح ثانية صيحة مهولة وهز سلسلته •

قال سكروج ، منتفضا من الخوف :

ـ انك مسلسل • اخبرنى لماذا ؟

أجاب الشبح :

ـ انى أرتدى السلسلة التى عملتها خلال حياتى عملتها بوصة بوصة وقيدت بها نفسى بارادتى الحرة • هل ترغب فى معرفة وزن وطول السلسلة التى تحملها أنت نفسك ؟ انها كانت فى ثقل وطول هذه السلسلة منذ سبعة اعياد ميلاد مضت ، ولقد اضفت اليها الكثير منذ ذلك الحين •

ـ لاتقبل لى المزيد · قل لى شيئا يريحنى يايعقوب !

اجاب الشبح :

ـ لا راحة عندى لأعطيها · أنا لا أستطيع الراحة ·· ولا أستطيع البقاء هنا · يجب أن أذهب · فى الحياة لم تمشى روحى خارج المكتب أبدا ، لكن الآن امامى العديد من الرحلات المرهقة ·

فكر سكروج :

ـ مت منذ سبع سنوات وتسافر الوقت كله !

قال الشبح :

ـ الوقت كله ، لاراحة ولاسلام · ألا تدرى أن أى روح تجد حياتها على الأرض قصيرة للغاية ازاء فرص النفع التى لاحد لها · ولايمكن لأى أسف بعد ذلك ان يعوض تلك الفرص الضائعة ؟ اما أنا ، فأضعتها كلها ·

ورفع السلسلة على ذراعيه وكأنها سبب حزنه وألقى بها على الأرض ، وقال :

ـ فى هذا الوقت من السنة معاناتى تزيد · لماذا مشيت بين الناس وبصرى خفيض ولم ارفعه أبدا الى تلك النجمة المباركة التى قادت الحكماء الى الرضيع عيسى المسيح عليه السلام ؟ ألم توجد بيوت فقيرة يقودنى ضوؤها اليها ؟ ···· اسمع كلامى !

قال سكروج :

ـ سأفعل ··· سأفعل ! لكن لا تكن قاسيا على ·

ـ لقد جلست بجانبك دون أن ترانى أياما كثيرة ·

لم تكن هذه فكرة سارة لسكروج واستمر الشبح :

ـ وأنا هنا الليلة لأحذرك · لازالت لديك فرصة وأمل فى الهروب من مصيرى ·

قال سكروج :

ـ لقد كنت دائما صديقا طيبا لى · شكرا لك ·

قال الشبح :

ـ سوف تزورك أرواح ثلاث · توقع الروح الأولى غدا عندما تدق أجراس الكنيسة الساعة الواحدة وتوقع الثانية الليلة التالية فى نفس الساعة ، والثالثة فى الليلة التالية عندما تنتهى الدقة الأخيرة للساعة الثانية عشرة ، ولن ترانى مرة أخرى ، لكن تذكر ، من أجل مصلحتك ، ما قلته لك ·

وأخذ الشبح قطعة القماش من المائدة وربطها حول رأسه · فاصطكت أسنانه بسبب شدة ربطها وأصدرت صوتا حادا · ثم تراجع للخلف مبتعداً عن سكروج · وكل خطوة يأخذها الشبح كانت النافذة ترفع نفسها قليلا الى أن وصلها الشبح كانت مفتوحة تماما · وأصدر الشبح اشارة لسكروج ليقترب · وعندما أصبحا على بعد خطوتين من بعضهما مد شبح مارلى يده يحذره بعدم زيادة الاقتراب · وسمع سكروج فى الهواء الخارجى صرخات أسى ونحيب · وأنصت الشبح



للحظة ثم انضم للأصوات واخذ يطفو فـوق عتمـــة الليل ٠

وتبعه ســـكروج الى النافذة واطل منها ٠ فكان الهواء مملوءا بالأشباح ، الهائمة هنا وهناك فى سرعة ضجرة متململة باكية منتحبة اثناء ذهابها ، وكل واحد منها كان يرتدى سلسلة تشبه سلسلة مارلـــى ، وكان بعضها لرجال كان يعرفهم سكروج فى حياتهم ، وجميعهم كانوا يبكون لأنهم قد ضيعوا القدرة على مســـاعدة الناس ٠ ولا يستطيعون الآن ٠

اختفت الأشباح فى الضباب وتلاشت اصواتها ٠ واصبح الليل كما كان عندما عاد ســـكروج للبيت ٠ واغلق النافذة ، وجرب فتح الباب فوجده مغلقا كمــا تركه تماما ، وحاول ان يقول : « خداع » ! لكنه توقف ٠ ثم القى بنفسه على سريره وسقط نائما بدون ان يخلع ملابسه ٠

الفصل الثانـى

أولى الأرواح الثـلاث

عندمـا استيقظ سكروج كانت الدنيـا ظلامـا · واستطاع بالتطلع من سريره أن يرى بالكاد النافذة · وكانت فى ظلام جدران الحجرة · وأنصـت ··· ثـم سمع جرس الكنيسة يدق الثانية عشرة · لكنها كانت الثانية والنصف عندما ذهب للسرير · لابد أن الساعة مخطئة · ربما أجزاء الساعة قد تجمدت ·· الثانيـة عشرة ؟!

قال سكروج :

ـ لماذا ، هذا ليس ممكنا ! لايمكن أن أكون قـد

نمت خلال يوم كامل والى هذا الحد من ليلة اخـرى · لابد انها الثانية عشرة ظهرا ·

ونهض من السرير ، وذهب الى النافذة واطـل منها ·· كل ما استطاع أن يراه انها مازالت ملبـــدة بالضباب وشديدة البرودة ، وليس هناك أثر لصوت انسان يتحرك فى الشـوارع كمـــا يجب أن يكون فى منتصف النهار ·

ذهب سكروج الى السرير ثانية · وفكر فيمـــا قد حدث · وكان يفكر :

ـ هل كان كل هذا حلما ؟

ثم سمع الساعة ـ دنج ـ دونج ·

فقال سكروج :

ـ الثانية عشرة والربع ، ثم سمع دنج ـ دونج ثانية ·

فقال سكروج :

ـ الثانية عشرة والنصف !

ثم ··· دنج ـ دونج ·

فقال سكروج :

ـ الواحدة الا ربعا !

وتذكر أن الشبح قد أنذره بزيارة عند الساعة الواحدة ·

دنج ـ دونج ·

فقال سكروج :

ـ الساعة الواحدة ، ولم يحدث شيء ·

لكن مجرد أن تحدث جاء نورٌ فى الحجرة وانسحبت ستائر سريره جانبا · ونهض جالسا فوجد نفسه وجها لوجه مع الزائر غير الأرضى ·

كانت روحا لها شكل غريب ، مثل طفل ··· وليست كأى طفل ، والى حد ما مثل رجل عجوز ، رجل عجوز قد أصبح ليس أكبر من طفل · الشعر متدل على

عنقها وكانت بيضاء وكانها من السنين ، ومع ذلك فالوجه كان صغيرا • كانت ترتدى أبيض فى أبيض مع حزام للخصر متألق • وممسكة بحزمة نبات مزهر فى يدها ، لكن كانت توجد أزهار صيفية على ردائها • وكان من اغرب الأمور كلها انبعاث نافورة صافية من النور من قمة راسها • لكن الروح كانت ممسكة بغطاء راس كبير تحت ذراعها وكان ذلك يستخدم لاخفاء نافورة النور أو لاطفائها •

فسأل سكروج :

ـ مارلى قال ان روحا ستزورنى • هل انت الروح ؟

ـ نعم •

كان الصوت ناعما ورقيقا !

فسأل سكروج :

ـ من أنت ؟ وماذا تكونين ؟

ـ أنا روح عيد الميلاد الماضى •



قالت : أنا روح عيد الميلاد الماضى .

فسأل سكروج :

ـ الماضى البعيد ؟

ـ لا ، ماضيك أنت ٠

لعل سكروج لم يكن يستطيع أن يخبر أحدا عن رغبته الخاصة فى أن يرى الروح بغطاء رأسها ٠ وقال :

ـ ارتدى غطاء رأسك من فضلك !

قالت الروح :

ـ ماذا ؟ أتريدنى بهذه السرعة أن أطفىء النور الذى أعطيه ؟ ألا يكفى أن نوازعك الشريرة صنعت هذا الغطاء ، ولقد أجبرتنى خلال هذه السنين العديدة أن اكبسه على رأسى ٠٠٠ تعال ، امش معى !

مدت الروح يدا قوية وأخذت سكروج من ذراعيه ! وقادته نحو النافذة ٠

قال سكروج :

ـ اذا خرجت من هنا ، فسأقع !

فوضعت الروح يدها على قلب سكروج ، وقالت :

ـ هذا لن يجعلك تسقط ٠

ونفذا من خلال الحائط ووقفا فوق طريق زراعى مفتوح والحقول من كل جانب ٠ لم تكن هناك أى علامة للمدينة ٠ لقد تلاشى الظلام وانقشع الضباب ٠ كان نهار شتاء بارد خال من الغيوم مع وجود ثلوج على الأرض ٠

نظر سكروج حوله ، وقال :

ـ هذا ٠٠٠ هذا هو المكان الذى ولدت فيه ٠ كنت صبيا هنا ٠

فسألت الروح :

ـ هل تذكر الطريق ؟

فصاح سكروج :

ـ اتذكره ؟ اننى استطيع أن امشيه وأنا مغلق العينين !

قالت الروح :

ـ من الغريب أنك قد نسيته لسـنوات عديدة . دعنا نستمر .

ومشينا على طول الطريق . وكان سكروج يعرف كل باب ، وكل عامود ، وكل شجرة . ثم ظهرت مدينة صغيرة من بعيد مع جسرها وكنيستها والنهر المتعرج . ورأى بعض الصبية يمتطون جيادا فى اتجاهه وينادون على صبية آخرين فى عرباتهم التى يقودها المزارعون . وكانوا سعداء جدا ويصيحون على بعضـهم البعض وكذلك كانت الحقول العريضـة مفعمة بالموسيقى المرحة والهواء يضحك لسماعها .

قالت الروح :

ـ هذه مجرد ظلال الأشياء التى كانت ، انهم لا يروننا .

وتوافد المسافرون السعداء ، وأثناء توافدهم كان سكروج يعرفهم وينادى على كل واحـد . وسـمعهم يقولون :

ـ عيد ميلاد سعيد !

كل منهم للآخر وهم يفترقون وكل يذهب الى بيته ٠

قالت الروح :

ـ المدرسة ليست خالية تماما ، يوجد طفل واحد هناك ، طفل ليس له أصدقاء ٠ لقد تركوه هناك عندما غادر الجميع ٠

قال سكروج :

ـ نعم ، أعرف هذا ٠

وبكى ٠

ودخلا حارة يذكرها جيدا وجاءا الى منزل أحمر كبير كان خاويا ، فالرجل الغنى الذى بناه قد أضاع ماله ، فسقطت البوابات ، وأصبحت الجدران خضراء من العفن ، وكانت النوافذ مهشمة ٠ ومشيا داخل الصالة الخاوية وعبراها الى باب فى مؤخرة المنزل ٠

وهناك شاهدا حجرة طويلة عارية بها مقاعد ومكاتب • وعلى احد هذه المكاتب طفل جالس يقرأ قـرب نـــار صغيرة •

جلس سكروج مقابل الصبى وبكى ليرى نفســه المنسى المسكين كما كان فى يوم ما • وظهر عليه انه يرى داخل عقل الصبى الأشياء التى كان يقرؤها •

فصاح سكروج :

ـ ياه ، انه على بابا ! على بابا القديم العزيز ! نعم ، اعرف ففى ذات عيد ميلاد ، عندما ترك هذا الطفل هنا وحده ، جاءه على بابا فى كتاب قصصه • آه ، نعم والعملاق فى القارورة • وروبنسون كروزو مع خادمه فرايداى يجرى على الشاطىء لانقاذ حياته • ياللصبى المسكين !

ثم وضع يده فى جيبه ، وقال .

ـ أوه ، لكن الوقت تاخر الآن •

فسالت الروح :

ـ ما الأمر ؟

فقال سكروج :

ـ لاشىء ، لا شىء · لكن كان هناك صبى يغنى ترنيمة عيد الميلاد عند بابى الليلة الماضية · وتمنيت لو كنت قد أعطيته شيئا ، لكن الوقت متأخر الآن ·

فابتسمت الروح ولوحت بيدها ، وقالت :

ـ دعنا نرى عيد ميلاد آخر ·

أصبحت الحجرة أكثر ظلاما وكان هو هناك ، وحده مرة أخرى بينما ذهب الأولاد الآخرون لبيوتهم فى اجازاتهم السعيدة · لم يكن يقرأ الآن بل كان يمشى حزينا ذهابا وإيابا · ثم فتح الباب ودخلت فتاة صغيرة ·· أصغر من الولد بكثير · ووضعت ذراعيها حول عنقه · ثم قبلته وقالت :

ـ أخى العزيز ، العزيز · لقد جئت لأعيدك للبيت ·

فقال الصبى :

ـ البيت يا فان الصغيرة ؟!

قالت الطفلة فى سعادة :

ـ نعم ، البيت ودائما ، البيت الى الأبد • ان ابى اكثر عطفا عما كان • لقد تحدث معى ذات ليلة بلطف عندما كنت ذاهبة للفراش ، ولم أخش أن أطلب منه مرة اخرى ان تأتي للبيت . فقال (نعم) ، ولقد أرسلنى فى عربة لاحضارك • سنكون سويا فى عيد الميـــلاد هذا وسنقضى أسعد وقت فى العالم !

قال الصبى :

ـ يالك من فتاة يافان الصغيرة !

فضحكت وحاولت أن تلمس رأسه ، لكنها كانت اقصر من ذلك ، لذلك ضحكت ثانيـة وبدأت تســحبه بشغف نحو الباب •

قال سكروج :

ـ عزيزتى فان الصغيرة ، كانت صغيرة للغاية ، وليست قوية •

قالت الروح :

ـ صغيرة للغاية ، لكن كان لها قلب كبير ، لقد ماتت عندما أصبحت زوجة صغيرة وأنجبت ، على ما أظن ، أطفالا ٠٠

قال سكروج :

ـ طفل واحد ٠

قالت الروح :

ـ صحيح ، ابن أختك ٠

قال سكروج :

ـ نعم ٠

وتركا المدرسة وأصبحا الآن فى شارع مزدحم بالمدينة ٠

وتوقفت الروح عند باب مستودع كبير ، وقالت :

ـ هل تعرف هذا المكان ؟

قال سكروج :

ـ أعرفه ؟ ياه ! لقد عملت هنا !

فدخلا ، وكان هناك رجل عجوز جالسا خلف مكتب مرتفع •

ـ انه فيزويج العجوز ، بارك الله قلبه ! انـه فيزويج حيا مرة أخرى •

وضع فيزويج العجوز قلمه وتطلع الى الساعة التى كانت تشير الى الساعة السابعة • وفرك يديـه ثم ضحك ونادى بصوت ممتلىء مريح :

ـ أنت هناك ! ابن عزير ! وأنت يا ديك !

نفس سكروج السابق ، وأصبح الآن شابا يافعا ، دخل ، ومعه زميله الكاتب •

قال سكروج للروح :

ـ ديك ويلكنز ! ياربى ، نعم ، هاهو ! انه كان صديقا عزيزا • ديك المسكين ! عزيزى ، عزيزى !

قال فيزويج :

ـ تعال ياولدى ، لا عمل الليلة ! انها ليلة عيد الميلاد · فلنغلق المكتب ، ونرفع المكاتب والكراسى ونعد العدة من اجل الوليمة ·

وسحبوا كل مايمكن تحريكه الى احد الجوانب · واعدت المصابيح ووضع مزيد من الفحم فى المدفأة ·

وجاء عازف الكمان مع كمانه · ودخلت مسـز فيزويج مع بناتها الثلاث المبتسمات الجميلات ، وجاء من خلفهن ستة شباب يتوددون لهن · ثم دخل كل الشبان والشابات وكل من كان يعمل فى المســتودع · وعزف الكمان وبدأ الرقص · وكانت هناك الحلوى واللحم ·

واخيرا وصل الرقص لنهايته · ودقت الســاعة الحادية عشرة وانتهت الحفلة · ووقف مستر ومســز فيزويج بجانب الباب يصافحان كل شخص عند خروجه أو خروجها متمنيان له أولها عيد ميلاد سعيد · وفعلا



عازف الكمان ٠

نفس الشيء مع الموظفين ، عندما غادر الجميع ، ثم أوى الشابان الى فراشهما ٠

أثناء كل هذا الوقت كان سكروج فى حالة اثارة كبيرة ٠ كان قلبه وروحه فى المشهد مع نفسه سابقا ٠ فتذكر كل شيء واستمتع بكل شيء ٠ وتذكر الآن فقط ، عندما انتهت الحفلة ، الروح ورأى أنها تتطلع اليه ٠ وكان النور فوق رأسها يشتعل بوضوح ٠

قالت الروح :

ـ كانت أشياء بسيطة تلك التى جعلت هؤلاء الناس السذج فى غاية الامتنان ٠

قال سكروج :

ـ أشياء بسيطة !

فأشارت الروح له لينصت الى الشابين اللذين كانا يمدحان فيزويج ٠ وقالت الروح :

ـ هل كان يستحق كل هذا المدح ؟ انه انفق جنيهات قليلة ٠٠٠ هذا كل ما فى الأمر ٠

قال سكروج :

ـ كان اكثر من ذلك ، كانت لديه القدرة في ان يجعلنا سعداء او غير سعداء ، ان يجعل عملنا خفيفا او ثقيلا ، ممتعا او كئيبا · كانت قدرته تكمن في كلمات ونظرات ··· في اشياء صغيرة جدا لايمكن ان تعدها اوتحصيها · والسعادة التي اعطاها لنا كانت عظيمة وكانها تكلف ثروة طائلة ·

وشعر بأن الروح تتطلع اليه ، فتوقف ·· وسألت الروح :

ـ ما الأمر ؟

ـ احب ان اقول لصديقي ديك ويلكنز كلمة او كلمتين · لكن احد الشبان قد أطفا المصابيح ، ووقف سكروج جانب الروح في الهواء الطلق ·

وقالت الروح :

ـ ان وقتي يقصر ، أسرع !

مرة أخرى شاهد سكروج نفسه · وكان أكبر سنا الآن ، كامل الرجولة · وكانت هناك نظرة قلقة فى عينيه تدل على أن حب المال قد تأصل فيه بالفعل ·

لم يكن وحيدا ، بل كان جالسا بجانب فتاة · وكانت الدموع فى عينيها · وقالت برقة :

ـ لا ، حب آخر حل مكانى فى قلبك · آمل أن يريحك فى المستقبل كما حاولت أن أفعل ·

قال :

ـ أى حب ؟

ـ حب المال · لقد تغيرت · انك لست نفس الرجل الذى كنته عندما تقابلنا · هل تختار الآن فتاة ليس لديها مال زوجة لك ؟

ـ كان على وشك الحديث ، لكن أشاحت بوجهها عنه ، ثم قالت :

ـ لا تتقيد بى فأنت حر · لعلك تكون سعيدا فى الحياة التى قد اخترتها ·

وتركته وافترقا ٠

صاح سكروج :

ـ أيتها الروح ، لا تريني أكثر من ذلك ! كفاية خذيني للبيت !

لكن الروح امسكت به واجبرته على مشاهدة ماحدث بعد ذلك ٠

كانا فى مكان آخر ، حجرة ليست كبيرة لكنها مريحة وكانت تجلس بالقرب من النار فتاة جميلة وأمها تجلس أمامها ٠

كانت الأم هى الفتاة التى افترق عنها سكروج ، لكنها أكبر سنا الآن ٠

كانت هناك ضجة فظيعة فى الحجرة ٠ فالاطفال كانوا يلعبون وكان كل واحد منهم أربعون طفلا ٠ وسمع طرقا على الباب ، ودخل الأب مع رجل يحمل لعبا وهدايا عيد الميلاد ٠ فكانت هناك صيحات الاعجاب والسرور عند فتح كل هدية ٠

واخيرا صعد الأطفال السلم للطابق العلوى للنوم وجلس صاحب المنزل بجانب النار مع ابنته وامها ·

وقال الزوج ، ملتفتا الى زوجته فى ابتسامة :

رايت اليوم صديقا قديما لك ·

ـ من هو ؟ ·

ـ خمنى !

ـ وكيف أستطيع ؟ أنا لا أعرف ·

ثم اضافت :

ـ هل هو مستر سكروج ؟

فقال :

ـ نعم ، كان مستر سكروج · مررت على مكتبه وكانت الشمعة تشتعل داخل النافذة رايته · وسمعت أن مستر مارلى على حافة الموت ، وكان يجلس وحيدا ، وحيدا تماما فى الدنيا ·

فصاح سكروج فى صوت متهدج :

ـ ياروح ، خذينى للبيت ! أرجوك !

قالت الروح :

ـ قلت لك ، أن هذه هى ظلال الأشياء التى كانت .. انها من صنعك .

ـ دعينى ! خذينى للبيت ! أتوسل اليك !

وامسك سكروج بغطاء راس الروح وضغطه على راسها . فانسكب النور من تحته فى فيضان على الأرض

وعاد سكروج الى حجرة نومه . وسقط على سريره وغاص فى سبات عميق .

الفصل الثالث

الثانى من الارواح الثلاث

استيقظ سكروج وجلس فى الفراش . لقد استيقظ فى الوقت المناسب ، لأنه عندما جلس ، سمع ساعة الكنيسة تدق الواحدة . تطلع من حوله . وتمنى أن يحيى الروح لحظة ظهورها ولا يؤخذ على غرة .

لكن الروح لم تحضر .

انتظر . خمس دقائق ... عشر دقائق ... ثم رأى من فوق سريره ، نورا أحمر ينبعث من الحجرة التالية . فنهض ، وارتدى حذاءه وذهب الى الباب ليرى ما حدث .

وعندما لمست يد سكروج الباب نادى عليه صوت غريب بالاسم · وتطلع فى الحجرة · كانت حجرته ، لكن مختلفة تماما · كانت الجدران مغطاة بنباتات خضراء مزهرة · وكانت هناك نار كبيرة تشتعل ، وكان على الأرض أكوام من كل أنواع أطعمة عيد الميلاد ··· الديوك الرومى السمينة المعدة للطهى ، وفاكهة ، وحلويات ، وكعك كل شيء !

قالت الروح :

ـ أدخل ، أدخل ! يجب أن تتعرف على بشكل افضل ·

دخل سكروج الحجرة ووقف أمام الروح · انه لم يكن سكروج العنيف القاسى الذى كان فى الماضى ، لكن بالرغم من أن عينى الروح كانتا صافيتين ورحيمتين فلم يكن يحب أن يتطلع فيها ·

قالت الروح :

ـ أنا روح عيد الميلاد الحالى · أنظر الى !



قالت : انا روح عيد الميلاد الحالى .

نظر سكروج ، فرأى شخصا بدينا مرح الهيئة يرتدى ثوبا أخضر فضفاضا طويلا • وكانت قدماه حافيتين • وكان على رأسه تاج من أغصان الأزهار والثلج من فوقه كالماس وشعره البنى الأجعد ينسدل مرسلا فوق كتفيه •

قالت الروح :

ـ انك لم تلتق بأحد مثلى من قبل •

قال سكروج :

ـ مطلقا •

ـ انك لم تلتق بالأفراد الصغار من عائلتى ؟

قال سكروج :

ـ لا أعتقد ، هل لك أخوة كثيرون أيتها الروح ؟

قالت الروح :

ـ مئات ومئات •

فكر سكروج :

ـ انها عائلة كبيرة ·

وسكتت روح عيد الميلاد الحالى عن الكلام ·

فقال سكروج :

ـ ياروح ، قودينى حيث تشائين · فى الليلة الماضية اجبرت على الذهاب ، لكنى تعلمت درسا يفيدنى الآن · والليلة اذا كان لديك أى شىء لتعلميه لى ، فأنا على استعداد ·

ـ اعطينى يدك ·

الديوك الرومى السمينة المعدة للطهى والفاكهة والكعك والحلويات كلها اختفت · وكذلك الحجرة بنارها الساطعة · وأصبحا واقفين فى شارع بالمدينة · كان صباح عيد الميلاد · وكان الناس تحفر الثلج وتزيله بعيدا عن الطريق من أمام منازلهم ، ومن الأسطح كان ينزلج مزيدا من الثلج · وكان الأولاد يضحكون فرحين برؤيته وهو يسقط الى أسفل حيث الطريق ·

كانت السماء رمادية لكن كان هناك جو من

البهجة · فالناس التى كانت تحفر الثلج كانت مفعمــة بالفرح ، ينادون بعضهم بعضا ، ويلقون من حين لآخر كرات الثلج على بعضهم بعضا ويضحكون عندما تأتى عليهم وتصيبهم ·

وبدأت اجراس الكنيسة تدق وجاء الناس مزدحمين فى الشوارع فى أحلى ملابسهم وبوجوه سعيدة ·

سافر سكروج والروح لايراهما أحد الى الجزء الخارجى من المدينة وجاءا الى منزل بوب كراتشيت ، كاتب سكروج وداخل المنزل لكانت مسز كراتشيت ترتدى افضل ملابسها التى تحتفظ بها من السنة للسنة ، تضع المفرش على المائدة ، وتساعدها بليندا ، ابنتها · وكان ابنها بيتر كراتشيت يراقب شيئا يغلى على النار ، وولد وبنت صغيران ، كانا يرقصان من حول المائدة ·

قالت مسز كراتشيت :

ــ اين أبوكم ؟ وأخوكم تاينى تيم ؟

كان تاينى تيم طفلهم الأصغر ، الذى كان رقيقا وصغيرا جدا ·

قالت مسز كراتشيت :

ـ اين ابنتنا مارثا ؟ انها لم تتاخر هكذا فى عيد الميلاد الماضى !

فقالت فتاة ، ظهرت وهى تتكلم :

ـ ها أنا ياأمى ، أنا مارثا ٠

فصاح الصغيران :

ـ ها هى مارثا يا أمى !

قالت مسز كراتشيت ، وهى تقبلها وتخلع عنها معطفها وقبعتها :

ـ يا عزيزتى ، لم تأخرت علينا !

فأجابت الفتاة :

ـ كان لدينا عمل كثير لانجازه فى المحل الليلـــة الماضـــية ، وكان علينا أن نزيل اشـــياء كثيرة هذ الصباح ٠

قالت مسز كراتشيت :

ـ حسن ، لاتهتمى ، اننا فى غاية السـرور بانك هنا · اجلسى بجانب النار ، ياحبيبتى ، وأدفئى نفسك ·

قال الولد والبنت الصغيران اللذان كانا يركضان حول كل شىء :

ـ هـاهو « بابا » قادمـا ! اختبئى يامارثا ، اختبئى ، واعملى له مفاجأة !

وهكـذا اختبأت مارثا ، ثم دخـل أبوها ، بوب كراتشيت ·· كانت ملابسه قد نظفت ورتقت لتبدو فى افضل حال لها · وكان يحمل تاينى تيم على كتفـه · كانت ساقا تاينى تيم يدعمهما قضيبين من حديد ·

قال بوب كراتشيت متطلعا حوله :

ـ أين ابنتنا مارثا ؟

قالت مسز كراتشيت :



تينى تيم : الطفل الأعرج

ـ ليست هنا ولن تأتى ·

قال بوب كراتشيت :

ـ لن تأتى ! لن تأتى فى يوم عيد الميلاد ؟

لم تكن مارثا تحب أن تراه حزينا حتى لو كانت بمزحة ، لذلك خرجت راكضة وألقت نفسها فى حضنه ، بينما أخذ الصغيران تايني تيم ليرى عملية طهى العشاء على نار المطبخ ·

ـ كيف تصرف تاينى تيم فى الكنيسة ؟

قال بوب كراتشيت :

ـ كان مثل الذهب ·· أعتقد أنه يزداد قوة ·

ساعد أخ تاينى تيم وأختـــه على الجلوس على مقعده الصغير بجانب النار ، بينما أخذ بوب كراتشيت يعد بعضا من عصير الفاكهة ليعمل مشروبا مدهشـــا ويضعه بجانب النار ليدفئه ·

وعندما جهز العشاء وأجلس بوب كراتشيت ابنه

تاينى تيم فى كرسيه الصغير عند ركن المائدة بالقرب منه ثم احضرت مسز كراتشيت الأوزة ، وكانت كبيرة ومدهشة ومطهية بشكل رائع · واكلتها الأسرة ولم تبق منها شيئا ·

ثم جاءت اللحظة العظيمة وأحضرت مسز كراتشيت فطيرة عيد الميلاد · وكانت مستديرة كالكرة بنية اللون ، دسمة مزينة بالمكسرات وعلى قمتها غصن اخضر به ازهار صغيرة بيضاء · فقال بوب :

ـ انها أفضل فطيرة أعددتها منذ زواجنا ! ·

ووافقت الأسرة كلها على ذلك ·

وعندما انتهوا من العشاء ، ورفعوا المفرش من فوق المائدة · وجلست الأسرة حول النار واستمتعوا بالمشروب الساخن الذى أعده بوب كراتشيت · ثم وقف بوب كراتشيت وقال :

ـ ارفعوا كئوسكم ·· عيد ميلاد سعيد لنا جميعا يا أحبابى ! وبارك الله لنا !

ورددت الأسرة كلها :



فطيرة عيد الميلاد .

– عيد ميلاد سعيد لنا جميعا !

وقال تايني تيم ، آخر الجميع :

– بارك الله في كل واحد منا !

وكان يجلس ملاصقا لأبيه على مقعده الصغير ، وكان بوب كراتشيت يمسك بيده الصغيرة في يده وكأنه يحب الطفل ويتمنى الاحتفاظ به جانبه ، لكنه يخشى أن يؤخذ منه ·

قال سكروج :

– أيتهـا الروح ، أخبريني اذا كان تايني تيم سيعيش ؟!

فأجابت الروح :

– انى أرى مقعدا خاليا فى الركن قرب النار اذا كانت هذه الظلال ستبقى بلا تغيير فى المســتقبل ، فالطفل سيموت ·

قال سكروج :

ـ لا ، لا ! اوه ، لا ، ايتها الروح الرحيمة ! قولى انه سيعيش !

ـ اذا بقيت الظلال بلا تغيير ، فلن تجده روح عيد الميلاد القادم هنا · لكن ماذا يهم ؟ لقد قلت بأن هناك فائض من الناس فى العالم ·

وقف بوب كراتشيت ثانية وقال :

ـ مستر سكروج ! فى صحة مستر سكروج · دعونا نشرب فى صحة مستر سكروج :

وقالت مسز كراتشيت :

ـ كنت أتمنى ان يكون هنا ، لكنت قلت له رايى فيه · وما كان سيستمتع بعشاء عيد الميلاد بعد ما اقول له رايى !

قال بوب كراتشيت :

ـ ياعزيزتى ، الأطفال ! هذا يوم عيد الميلاد ·

قالت مسز كراتشيت :

ـ أنه فى يوم عيد الميلاد فقط حيث يجب على الانسان أن يشرب فى صحة مثل هذا الرجل البغيض القاسى عديم الشعور مثل مستر سكروج · وانت تعلم أنه كذلك ياروبرت · ولا احد يعلم ذلك افضل منك ·

· قال بوب :

ـ يا حبيبتى ، هذا يوم عيد الميلاد ·

قالت مسز كراتشيت :

ـ حسن ، سوف أشرب فى صحته لأنك طلبت منى ذلك · لعل الله يهبه عيد ميلاد سعيدا وسنة جديدة سعيدة · لكنى لا أعتقد ذلك !

لقد ألقى اسم سكروج ظلا قاتما على الحفلة ، لكن بعد خمس دقائق عادوا جميعا فى غاية السعادة مرة أخرى · وأخبرهم بوب كراتشيت انه قد وجد عملا من أجل بيتر ، وضحك الصغيران على فكرة أن بيتر سيكون رجل أعمال · ومارثا ، التى تعمل فى محـــل أزياء ،

اخبرتهم بنوع العمل الذى تقوم به وعدد الساعات التى تعملها ، وقالت :

– وغدا سأظل فى السرير طول الصباح لأرتاح ٠

ودار اناء المشروب الساخن مرات وكان لديهم اغنية عن طفل تائه فى الثلج ، وغناها تاينى تيم بصوته الصغير بشكل رائع ٠

كان الثلج ينهمر بشدة عندما مشى ســـكروج والروح فى الشوارع ٠ كانت الستائر الحمراء مغلقة لتمنع البرد والعتمة ٠ وهنا كانت الأطفال تخرج من المنزل راكضة فى الثلج ليقابلوا اخواتهم المتزوجـات واخوتهم وأصدقاءهم القادمين لحفلتهم المسائية ٠

وكان الناس يأتون من كـل حدب وصــوب فى طريقهم للانضمام لحفلات الأصدقاء ٠ وكان المسئول عن اشعال المصابيح يسير أمامهم ليرصع الشارع بنقاط من نور ، وحتى هو كان يرتدى ملابس السهرة ٠

وفجأة وجدا نفسيهما واقفين فوق سهل مظلــــم



اضاءة مصابيح الطريق •

عاصف ، حيث توجد كتل ضخمة من الأحجار ملقاة هنا وهناك وكأنه مكان لدفن العمالقة · وفى الغرب كانت الشمس تغرب تاركة خطا أحمر مضطرما كالنار ·

فسأل سكروج :

ـ ما هذا المكان ؟

ـ هذا هو المكان الذى يعيش فيه عمال المناجم · انهم يعملون تحت الأرض ، لكنهم يعرفونى ·

انبعث ضوء من نافذة أحد الأكواخ ، فاتجها نحوه مارين عبر جدار حجرى · وتطلعا عبر النافذة فشاهدا جماعة من الناس يلتفون حول نار ساطعة فى بهجة وحبور · وكان هناك رجل وسيدة مسنان مع أطفالهما وأطفال أطفالهما ، وكان الرجل المسن يغنى لهم أغنية عيد الميلاد · وكانت أغنية قديمة عندما كان صبيا ، وكان جميعهم يشاركونه بغنائهم من وقت لآخر ·

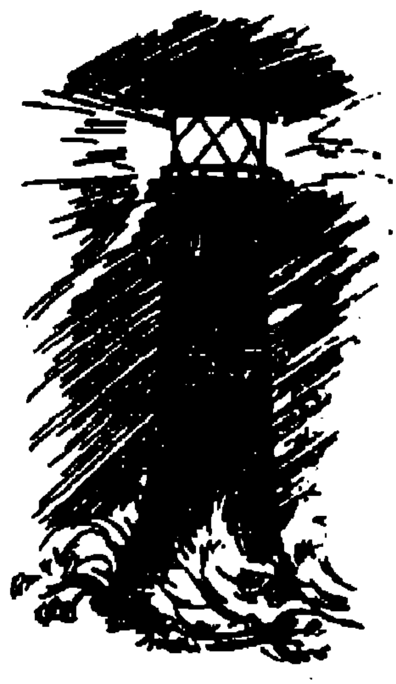
ولم تبق الروح طويلا لكنها مرت فوق السهل فى اتجاه البحر · وتطلع سكروج خلفه ورأى نهاية اليابسة

رأى صفا من الصخور ، وكان هدير أمواج البحر فى أذنيه حيث تتدحرج المياه وتزأر فى الكهوف التى قد صنعتها ٠

كانت هناك منارة مبنية فوق صخرة بعيدة عن الشاطىء ، والطيور تحوم من حولها ٠ وحتى هنـــا فمراقبا الانارة كانا يتشابكان بالأيـــدى فوق المائدة ويتمنيان عيد ميلاد سعيدا لبعضهما بعضا ٠

وطارت الروح فوق البحر العاصف واستمرت فى الطيران بعيدا عن اليابسة ، الى ان وصلا الى سفينة فحطا عليها ٠ ووقفا بجانب الرجل الذي عند الدفة ٠ وكل رجل فى السفينة كان يغنى أغانى أعياد الميـلاد أو لديه فكرة عيد الميلاد فى ذهنه أو كان يتكلم بهدوء مع رفيق له عن يوم عيد الميلاد فى الماضى وآماله فى قضاء عيد الميلاد بالبيت فى الأعوام القادمة ٠

وتحركت الروح عبر الظـــلام ٠ وعندئذ اندهش سكروج لسماعه ضحكة سعيدة ٠ وعرف انها ضحكة ابن



المنـارة .

أخته ، ووجد نفسه فى حجرة بهيجة · ووقفت الروح بجانبه ونظرت الى ابن الأخيت بابتســـامة ودودة · وضحك ابن أخت سكروج :

ـ ها ، ها !

وعندما ضحك ابن أخت سكروج بهذا الشـــكل ممسكا بجانبيه ومحركا راسه ، ضحكت زوجته أيضا ، فضحك أصدقاؤهما جميعا :

ـ هاهاها ! هاها ! ها !

وصاح ابن أخت سكروج :

ـ قال أن عيد الميلاد ماهو الا خدعة ! ويؤمن بذلك أيضا !

قالت الزوجة :

ـ كان عليه أن يخجل !

كانت زوجة ابن الأخت جميلة جدا ، كان لها فم صغير فاتن يبدو أنه مخلوق للقبل وأجمل عينين يمكن أن تراهما ·

قال ابن أخت سكروج :

ـ انه شخص مضحك ،و هذه هى الحقيقة · أنه ليس لطيفا كما يجب أن يكون ، لكن مجافاته تحمل معها عقابها وليس لدى شىء أقوله ضده ·

قالت الزوجة :

ـ أنا متأكدة أنه غنى جدا يافريد ، على الأقل كنت تقول لى ذلك دائما ·

قال ابن أخت سكروج :

ـ ماذا لو كان غنيا ياعزيزتى ؟ فنقوده لافائدة منها له ، فهو لا يفعل اى شىء طيب بها ، ولايريح نفسه بها · انه ليس لديه حتى متعة التفكير ··· ها · ها · ها ! ··· فى أن يساعدنا بها ·

قالت الزوجة :

ـ أنه يجعلنى حانقة ·

وقال اخوات الزوجة وكل السيدات الأخريـات نفس الشىء ·

قال ابن أخت سكروج :

ـ أوه ، أنا آسف من اجله ، ولا استطيع أن اكون غاضبا منه ، حتي لو حاولت ·· من يعانى من أوهامه الغريبة ؟ انه هو · انه يقرر أن يكرهنا ولا يريد ان يأتى ويتعشى معنا ، وماهى النتيجة ؟ انه ضـيع على نفسه وجبة عشاء ·· لم يكن عشاء لذيذا ، أليس كذلك ؟

فقالت الزوجة :

ـ فى الحقيقة ، أعتقد إنه خسر عشـاء لذيذا جـدا ·

وكل الموجودين قالوا نفس الشىء ولابد ان يكونوا حكاما صادقين لأنهم قد أنهوا العشـاء لتوهم وكانوا يلتفون حول النار ·

فقال ابن أخت سكروج :

ـ انا سـعيد ان اسمع ذلك ، لأنى لا أصدق ان الزوجات الصغيرات طاهيـات ماهرات · ماذا تقول ياتوبر ؟

وكان من الواضح أن توبر مهتم باخت الزوجة لذلك أجاب قائلا :

ـ أوه ، أنا لست متزوجا بعد ولذلك ليس لى الحق أن أدلى بدلوى بخصوص ذلك ·

فأدارت أخت الزوجة وجهها بعيدا وأطلقت ضحكة صغيرة وقالت الزوجة :

ـ استمر يافريد · انه لاينهى أبدا ما يبدأ فى قوله !

قال ابن أخت سكروج :

ـ كنت ساقول ، أن نتيجة اتخاذه موقفا معاديا لنا وعدم مشاركتنا لحظات السعادة هذه أنه يخسر بعض اللحظات السارة · لكنى اقصد دائما أن أعطيه نفس الفرصة فى مشاركتنا كل سنة ، سواء كان يحب ذلك أم لا ، لأنى آسف من أجله · وقد يستمر فى قوله أن عيد الميلاد هراء الى ان يموت ، لكنه لن يحوله ذلك عن التفكير بشكل مختلف اذا وجدنى أذهب اليه سنة

وراء سنة قائلا له : « خالى سكروج ، كيف حالك ؟ عيد ميلاد سعيد عليك ·· اعتقد أننى قد أثرت عليه بعض الشىء بالأمس ·

والتفوا حول النار واخذوا يغفون ، وبعد ذلك لعبوا بعض الألعاب وبدأ سكروج يندمج فى الألعاب حتى انه أراد أن يشاركهم اللعب · ثم شرعوا فى لعبة جديدة · انها لعبة اسمها « نعم ولا » · فكان على ابن أخت سكروج أن يفكر فى شىء وعلى الآخرين أن يعرفوا ما كان يفكر فيه عن طريق الأسئلة وعليه أن يجيب بنعم أو لا فقط ·

— « هل هو حيوان » ؟ ··· «نعم» ··· «حيوان حى » ؟ « نعم » ·· « حيوان ظريف » ؟ « لا » ·· «حيوان عنيف» ؟ «نعم» ··· هل يصدر ضجيجا عنيفا وقبيحا » ؟ «نعم ، أحيانا» « هل يوجد فى لندن »؟ «نعم» «هل تراه فى الشوارع » ؟ «نعم» ··· « هل الناس تدفع مقابل أن تراه » ؟ «لا» ··· «هل يقوده أحد» ؟ «لا» ·· «هل يذبح للأكل » ؟ «لا» ··· «هل هي بقرة» ؟ «لا» ··

« هل هو أسد » ؟ « لا » ··· «هل هو كلب» ؟ «لا» ···
«هل هو خنزير » ؟ «لا» ··· «هل هى قطة» ؟ «لا» ···
« هل هو دب » ؟ «لا» ···

وكان ابن الأخت يضحك على كل سؤال يوجه له ·
واخيرا بدأت أخت الزوجة تضحك بصوت مرتفع عن أى شخص آخر ، وصاحت قائلة :

ـ لقد عرفت ! عرفت ما يكون ! فريد ، عرفت من يكون !

فسأل فريد :

ـ ماهو ؟

ـ انه خالك سكروج !

وكان هو بالفعل ·

وقال ابن الأخت :

ـ هيا بنا نشرب فى صحة الخال سكروج !

ورفعوا كئوسهم وقالوا مع ان أخت سكروج :

ـ الخال سكروج ! عيد ميلاد سعيد وسنة جيددة سعيدة للرجل العجوز !

كان سكروج يود أن يشكر المجموعة لكن الروح لم تعطه الوقت ، وفجأة اختفى المشهد كله وكان هـو والروح فى ترحالهما ثانية • واستمرا يجوبان بلادا اخرى وراء البحار ، الى بيوت الأغنياء وبيوت الفقراء الى المستشفيات حيث المرضى والى السجون ، وكـل مكان يذهبان اليه تترك الروح بركاتها •

وكانت ليلة طويلة ، واثناء انقضاء الليل كانت الروح تبدو اكبر واكبر • ثم تطلع سكروج الى الروح وهما يقفان سويا فى مكان مكشوف فلاحظ أن شعرها اصبح أشيب •

فسأل :

ـ هل حياة الأرواح قصيرة بهذا الشكل ؟

فأجابت الروح :

ـ حياتى على هذه الأرض قصيرة جدا · انها تنتهى الليلة ·

فصرخ سكروج :

ـ الليلة ؟

ـ نعم ·· الليلة عند منتصف الليل ·· اسمع !

الوقت يقترب ·

كانت أجراس الكنيسة تدق معلنة الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة ·

قال سكروج :

ـ اغفرى لى لو سالت ، فانا ارى شيئا غريبا مختبئا بجانبك ·

أحضرت الروح طفلين أمامها · وركعا عند قدميها وكانا ولدا وبنتا فى هلاهيل ممزقة يشبهان الحيوانات كانت الصحة يجب أن تملأ وجهيهما وتصبغهما بألوانها



واحضرت الروح طفلين فقيرين .

النضرة ، لكن كانت خدودهما نحيلة وفى عينيهما نظرة الوحوش ٠

قال سكروج :

ـ ايتها الروح ، هل هما منك ؟

قالت الروح وهى تنظر اليهما :

ـ انهما من الانسان ، هذا الولد هو « الجهل » ٠ انه لم يتعلم ، وهذه البنت هى الحاجة ٠٠٠ انها لم تطعم ٠

فصرخ سكروج :

ـ الا يوجد من يساعدهما ، الا يوجد مكان يذهبان اليه ؟ ٠

قالت الروح وهى تتطلع اليه لآخر مرة مكررة الكلمات التى قد قالها سكروج نفسه :

ـ الا توجد سجون ؟ الا توجد اصلاحيات ؟

ودق الجرس الثانية عشرة ·

وبحث سكروج عن الروح لكنه لم يرها · ثم تذكر ما قاله يعقوب مارلى ورفع عينيه ورأى شبحا مظلما قادما نحوه عبر الضباب ·

الفصل الرابع

الأخير من الأرواح الثـــلاث

اقتربت الروح ببطء وفى صمت · وعندما جاءت قربه ، ركع سكروج على ركبتيه · حتى الهواء الذى كانت الـــروح تتحرك خلالـــه بدا ممتلئـــا بالعتمـــة والغموض ·

كانت متسربلة فى سواد · ووجهها وشكلهـــا لا يمكن أن يراهما أحد ··· مجرد يد واحدة ممتدة · وهذه اليد فقط تفصلها عن العتمة المحاطة بها ·

وشعر سكروج بأن الروح طويلة عندما جاءت بجانبه ، وملأه حضورها باحساس الخوف والرهبة · ولم يتحرك ولم يتكلم ·

فقال سكروج :

ـ هل أنا فى حضـور روح عيد الميــلاد الذى سوف يأتى ؟

ولم تجب الروح لكنها أشارت بيدها الى الأمام ·

فقال سكروج :

ـ هل سترينى ظلال الأشياء التى لم تحدث بعد لكنها سوف تحدث فيما أمامى من وقت ؟ أليس كذلك ، أيها الروح ؟

وبدت الروح كأنها أومأت ·

قال سكروج :

ـ ياروح المستقبل ، انى أخافك أكثر من أى روح رأيتها قبلك · لكنى أعرف أن غرضك أن تفعلى بــى خيرا · آمل ان اعيش لأكون رجلا آخر مختلفا عمــا كنته لذلك أنا مستعد للذهاب معك ، وأذهب بقلب شاكر ألن تتكلمى معى ؟

لم تجب الروح لكن يدها أشارت امامهما

فقال سكروج :

ـ اهدينى للطريق • الليل قصير والوقت ثمين •

فوجدا نفسيهما فى المدينة • وكانا فى القاعة الكبرى للبورصة • مكان لقاء كبار التجار فى لندن • كانت الرجال تسرع ذهابا وايابا ويتكلمون مع بعضهم البعض ، ناظرين الى ساعاتهم وقلقين ، كما قد راهم سكروج كثيرا من قبل •

وقفت الروح بجانب مجموعة صغيرة من رجال الأعمال • فتقدم سكروج ليستمع لحديثهم •

قال رجل بدين :

ـلا ، لا أعرف كثيرا عن ذلك • أعرف فقط انه مات •

سأل آخر :

ـ متى مات ؟

ـ الليلة الماضية على ما أعتقد ٠

فسأل ثالث :

ـ لماذا ؟ ماذا كان به ؟ كنت أظن انه لن يموت ٠

قال الأول بلا مبالاة :

ـ الله أعلم ٠

سأل رجل ذو وجه أحمر وأنف كبير :

ـ ماذا فعل بماله ؟

قال الرجل البدين :

ـ لم أسمع ، أعتقد أنه تركه لشركته ٠٠ انه لم يتركه لى ، هذا كل ما أعرفه !

فاستقبلت هذه النكتة بضحكة عامة ٠

وقال نفس المتحدث :

ـ لن تتكلف الجنازة كثيرا ، لأنى لا أعرف أحدا سوف يذهب اليها ٠٠٠ هل سنذهب ؟!

قال الرجل البدين :

ـ ليس عندي مانع للذهاب اذا وجد عشاء طيب فيما بعد · لابد أن آكل اذا ذهبت ·

ضحكة أخرى ·

وقال آخر :

ـ حسن ، انا لا اتناول أكلة كبيرة وسط النهار ، لكني سأذهب اذا ذهب أحد آخر : اعتقد أنـــي كنت أفضل صديق عنده لأننا اعتدنا أحيانا ان نقف ونتحدث عندما نتقابل قائلين ··· حسن ، وداعا ·

وابتعد المتحدثون والمستعمرون وانضموا لفريق آخر · عرف سكروج الرجال وتطلع الى الروح منتظرا تفسيرا ، لكن الروح لم تعط أية اجابة · وخرجت الى الشارع وأشارت بيدها الى شخصين يتقابلان · فانصت سكروج ثانية ، معتقدا ان التفسير يكمن هنا ·

كان يعرف هذين الرجلين جيدا · كانا رجلـــي

أعمال ، ثريين جدا وبهما حيثية كبيرة • ولقد حاول دائما أن يكسب ودهما ويفوز بحسن ظنهما ، اذ كان ذلك مهما بالنسبة لعمله •

قال الأول :

ـ كيف حالك ؟

فأجاب الثانى :

ـ كيف حالك ؟

قال الأول :

ـ بخير ، سمعت أن الهباش العجوز قد توكل أخيرا •

قال الثانى :

ـ هكذا قيل لى • برد شديد ، أليس كذلك ؟

ـ حسن ، هذا ما يتوقعه الانسان وقت عيد الميلاد هل ستخرج فى الثلج ؟

- لا ، لا ، لدى أمر آخر لأفكر فيه ·· صباح طيب !

ولا كلمة أخرى · كان ذلك لقاءهما ، وحديثهما ، وفراقهما وتركا مركز الأعمال بالمدينة ·· وأحضرت الروح سكروج الى منطقة لم يرها أبدا من قبل ، بالرغم من أنه كان يعرف أين هى وكان يعرف أنها من أسوأ وأفقر المناطق ، فالشوارع ضيقة وقذرة ، والمحلات والمنازل صغيرة وقبيحة · والحارات ضيقة والبواكى مملوءة بالأوساخ والروائح العفنة · وكان المكان كله يفوح بالجريمة والقذارة والتعاسة ·

وجاء الى محل يجلبون اليه الخرق القديمة ، والزجاجات ، والعظام وما شابه · وكانت على الأرض تلال مكومة من السلاسل والمسامير والمفاتيح الصدئة والحديد الخردة بشتى أشكاله · وكانت هناك أكوام من الخرق والهلاليل ، وبراميل من الشحم الفاسد ، وأكوام من العظام · وكان رجل عجوز أشيب فى السبعين من

عمره يجلس بجانب نار صغيرة · ولقد حمى نفسه من الهواء البارد الخارجي بستائر رثة معلقة على حبل عبر الحجرة ·

وبمجرد أن وصل سكروج والروح الى المحل دخلت امرأة تحمل حقيبة ثقيلة ودخلت امرأة أخرى حاملة كيسا أيضا ، وتبعها عن كثب رجل كان يرتدي ملابس سوداء وبدا مندهشا لرؤية المرأتين وتعرفوا على بعضهم · ثم ضحك ثلاثتهم

قالت المرأة التي قد دخلت المحل أولا :

ـ منظفة المنازل أولا ، ثم الغسالة ثانيا ورجل الجنازات ثالثا ·

قال جو العجوز صاحب المحل ، نازعا غليونة من فمه :

ـ حسن ، ادخلوا · سأغلق باب المحل · ادخلوا الحجرة الداخلية ·

وكانت الحجرة الداخلية هى المساحة التى تخلف
خط الستائر الرثة ·

والقت المرأة التى تكلمت بكيسها على الأرض وجلست تنظر بجسارة على الاثنين الآخرين ، وقالت :

ـ حسن ، مسز دلبر ، كل شخص له حق فى الاعتناء بنفسه أو بنفسها · وذلك الرجل داىما يفعل ذلك ·

قالت الغسالة :

ـ هذا حقيقى ، لا أحد يعتنى بنفسه أكثر منه ·

ـ لماذا اذن لاتقفين وتتطلعين اليه وكأنك خائفة ، يا امرأة ! ومن يستطيع أن يعرف أننا قد أخذنا هذه الأشياء ؟ اننا لن نفكر تفكيرا سيئا فى بعضنا ، على ما أظن ؟

قالت مسز دلبر :

ـ لا ، صحيح ، بالتأكيد لا !

قال الرجل :

ـ لا ، صحيح •

قالت المغسالة :

ـ عظيم جدا ، اذن ! من يعانى من ضياع أشياء بسيطة مثل هذه ؟ ليس الرجل الميت ، على ما أظن ؟

قالت مسز دلبر ضاحكة :

ـ لا ، صحيح •

ـ اذا كان يريد أن يحتفظ بالأشياء بعد موته ، لماذا لم يحصل على أحد ليعتنى به فى حياته ؟ لماذا لم يستطع أن يكون مثل الناس الآخرين ؟ اذا كان مثل الناس الآخرين وكان لديه شخص ما ليعتنى به عند موته ، لما رقد هناك وحيدا فى النهاية ، يموت وحيدا بمفرده •

قالت مسز دلبر :

ـ هذا حقيقى جدا انها مصيبة وحطت عليه ، يمكن اعتبارها عقابا الهيا

قالت المرأة :

ـ كنت أتمنى أن تكون مصيبة أثقل قليلا ، لـو استطعت أن أضع يدى على أى شيء آخر لكنت قـد أحضرته · افتح الكيس ياجو يا عجوز ، وأخطرنى بما تستحق ·· أنا لا أخشى منهم أن يروا ما أحضرت ·

لكن المرأة الأخرى لن تسمح بذلك ، وأظهر الرجل المرتدى ملابس سوداء ما أحضره أولا ··· علبة أقلام فضية ، بعض الأزرار ، ودبوس ذهبى ، وأشياء مشابهة ·· نظر جو العجوز على الأشياء · وعمل قائمة ووضع قيمة كل منها ثم جمعها ·

قال جو العجوز :

ـ ها هو مبلغك ، ولن أعطيك بنسا آخر · والآن من بعده ؟

كانت مسز دلبر التالية ··· كان لديهـا بعض الأقمشة والملابس وملعقتين من الفضة وبعض الكتب ·

قال جو العجوز :

ـ أنا دائما أعطي المزيد للسيدات · انه ضعف ظنى ، ها هو مبلغك · اذا طلبت بنسا آخر سوف أنقصه شلنين ·

قالت المرأة الأخرى :

ـ والآن ساريك ما قد أحضرت ·

ونزل جو العجوز على ركبتيه وفتح الكيس وسحب منها لفة كبيرة ثقيلة من القماش الداكن ·

قال جو :

ـ ماذا تسمين هذا ؟ ستائر سرير ؟

قالت المرأة ، ضاحكة :

ـ نعم ستائر سرير ·

قال جو :

ـ أتريدى أن تقولى انك أنزلتيها بالحلقات وخلافه ، وهو راقد هناك ·

قالت المرأة :

ـ نعم ، حصل ، ولم لا ؟

قال جـــو :

ـ حسن ، بالتأكيد ستكونى ثروة ٠

قالت المرأة :

ـ أنا لا اكبح يدى عندما استطيع ان احصل على شىء ٠ وهذا فرش السرير ٠

قال جو :

ـ فرش سريره ؟

ـ حســـــن ، ماذا تظن ؟ انه لن يصـــــاب ببرد بدونها ، أليس كذلك ؟

واشارت المرأة الى قميص نوم ، قائلة :

ـ وهاك قميص نومه ٠ كانوا سيلقون به اذا لم اخلعه منه ٠ ألبسوه له لكى يدفن به ! كان واحدا منهم

فى منتهى الحماقة ليفعل ذلك ! لكنى خلعته منه ثانية ٠ لقد أخاف كل شخص عندما كان حيا وابعد الناس عنه وهكذا جعلنا الفائزين عندما مات ٠ ها ٠ ها ٠ ها !

قال سكروج :

ـ أيتها الروح ، فهمت ٠٠ حالة هـذا الرجل التعيس قد تكون حالتى ! فحياتى تسير فى ذلك الاتجاه الآن ٠٠٠ يا اله السماوات ! ما هذا ؟

لقد تغير المشهد ٠ وكان واقعا بجوار سرير عار ، بلا ستائر ، وعليه شيء مغطى بملاءة مهلهلة ٠ وسقط نور باهت ٠ على السرير وعلى هذا الشيء فكان جثمان الميت غير المعتنى به وغير المأسوف عليه ٠

واشارت الروح بيد ثانية تجـاه الرأس ٠٠ كان الغطاء ملقيا عليه باهمال حتى أن سكروج اقدم على رفع الغطاء باصبعه حتى لا يظهر الوجه ، لكن لم تكن لديه القدرة على هذا الفعل وأثناء تطلعه الى السـرير فكر :

ـ لو استطاع هذا الرجل أن يحيا الآن · فماذا سيكون اول تفكير له ؟ لقد جلب له حب المال نهاية غنية ، صحيح ! وها هو يرقد فى منزل خاو ، بلا انسان ، رجل أو امرأة أو طفل ليقول : « لقد كان عطوفا على ، ولذلك ساكون عطوفا عليه » ·

وكانت قطة تموء فى هياج عند الباب كما كانت توجد أصوات فئران تحت أرضية الحجرة · ماذا يريدون فى حجرة الموت هذه ، ولماذا هم بهذا القلق ؟ لم يجرؤ سكروج أن يفكر ، وقال :

ـ يا روح ، هذا مكان مخيف. وبفراقه لن أفارق العبرة التى أخذتها منه · دعنا نذهب ·

وما زالت الروح تشير بأصبع لا يتحرك الى الرأس فقال سكروج :

ـ انى أفهمك ، لكننى لا أستطيع أن أفعل ذلك فليست لدى القدرة ، أيتها الروح ، ليست لدى القدرة !

وبدت الروح تتطلع اليه مرة خرى ·

فسأل سكروج :

ـ هل يوجد أى شخص فى هذه المدينة ستتأثر مشاعره بموت هذا الرجل ؟ دلينى على ذلك الشخص ، أيتها الروح ، أتوسل اليك ٠

رفعت الروح ذراعها وعندما أنزلته كانا فى غرفة فى وضح النهار حيث تجلس أم وطفل ٠

كانت فى انتظار شخص ما فى تلهف قلق ٠ وتطلعت من النافذة ، ثم نظرت الى الساعة ٠ واخيرا سمعت دقة انتظرتها فى صبر ٠ فاسرعت الى الباب وقابلت زوجها ٠ وبالرغم من انه شاب صغير كان وجهه حزينا مضطربا ، لكن اصبح فيه الآن ابتهاج او نوع من الفرح الجاد الذى كان يشعر بخجل منه وحاول ان يخفيه ٠

وجلس لتناول الغداء ، وحل صمت طويل ، ثم قالت :

ـ ماهى الأخبار ؟ طيبة أم سيئة ؟

فأجاب :

ـ سيئة ٠

ـ اذن هل أفلسنا تماما ؟

ـ لا ، ما زال الأمل موجودا يا كاروalين ٠

قالت :

ـ لو كان لديه ذرة رحمة ، لكان هناك أمل ٠

قال زوجها :

ـ لقد تجاوز اظهار الرحمة ٠ لقد مات ٠ وكما تعرفين حاولت ان اقابله واطلب منه أن يعطينا مهلة أسبوع واحد لندفع ٠ لكن امرأة شبه مخمورة أخبرتنى أنه مريض جدا ٠ وفى الحقيقة كان فى النزع الأخير ٠

ـ من هو اذن الذى سيأخذ الدين الذى علينا ؟ لمن يجب علينا أن ندفع٠؟

ـ لا أدرى ٠ لكن قبل الموعد سنكون جاهزين بالنقود ، وحتى لو لم نكن جاهزين فلن نجد من هو أكثر

منه قسوة وعدم رحمة • يمكننا أن ننام الليلة هانئى البال يا كارولين •

قال سكروج .

ـ دعينى ارى الجانب الحنون فى الموت • موت يوجد فيه أسى وحب •

فقاده الشبح فى شوارع مختلفة عديدة كان يعرفها سكروج جيدا • ودخلا منزل بوب كراتشيت الفقير فوجدا الأم والأطفال جالسين حول النار •

هدوء ... هدوء تام • كان أطفال كراتشيت جالسين فى الركن ، ينظرون الى بيتر الذى كان معه كتاب مفتوح أمامه • وكانت الأم والبنات يقمن بأعمال الحياكة • لكن بالتأكيد كانوا هادئين تماما ! وقرأ بيتر :

.. وأخذ طفل صغير ووضعه فى وسطهم •

كان يقرأ من الانجيل • وضعت الأم شغلها على المائدة ، وقالت :

ـ هذا ميعاد عودته ٠

فأجاب بيتر ، مغلقا الكتاب :

ـ بل فات الميعاد ، لكنى أعتقد انه يمشى اكثر بطءا عما اعتاد عليه ٠ لقد عرفته يمشى بسرعة جدا وتاينى تيم على كتفه ٠

قالت الأم :

ـ كان تاينى تيم خفيفا جدا ، لكن اباه كان يحبه للغاية ! ها هو ابوك عند الباب ٠

واسرعت لتقابله ٠٠٠ وقالت :

ـ اليوم الأحـد ٠٠ ذهبت لترى قبر تاينى تيم يا روبرت ؟

قال بوب وهو يبكي :

ـ نعم ، يا عزيزتى ، تمنيت لو ذهبت معى ٠ كنت سترتاحين لخضرة المكان ٠ لكنك سترين ذلك كثيرا ٠

وعدت تاينى تيم أن أذهب الى هناك يوم الأحـــد ٠٠٠ طفلى الصغير !

كانت البنات والأم مازلن يحكن بعض الملابس ، عندما أخبرهن بوب أنه قد قابل ابن أخت سكروج وكم كان عطوفا ٠

ـ قابلته فى الشارع ذلك اليوم وسألنى لمـــاذا أبدو حزينا فأخبرته ، فقال : « انا اسف جدا لسماع هذا يا مستر كراتشيت ، واسف جدا لزوجتك العزيزة ٠ واذا استطعت أن أساعد فى أى شىء فأنت تعرف اين تجدنى وارجوك أن تاتى لى ، فى الحقيقة يبدو وكأنه كان يعرف تاينى تيم ويشعر معنا نفس الشعور ٠

قالت مسز كرتشيت :

ـ انا متأكدة أنه رجل طيب ٠

فأجاب بوب :

ـ نعم ، وسيحاول أن يحصل لبيتر على عمــل أفضل ٠

فصاحت إحدى البنات :

ـ ثم سيتزوج بيتر ويستقل بنفسه !

قال بوب :

ـ نعم ، فى الحقيقة سيحدث ذلك فى يوم ما · لكن لايزال الوقت طويلا على ذلك · ولكن عندما نفترق عن بعضنا فأنا متأكد أننا لن ننسى تايني تيم أبدا ، أليس كذلك ؟

فصاح الجميع :

ـ أبدا يا أبى !

قال سكروج :

ـ أيتها الروح ، شىء ما يقول لى ان وقت فراقنا قريب · خبرينى ، بالله عليك ، اى رجل هذا الذى رأيناه مسجى ميتا ؟

قادته الروح الى الامام · فوصـلا الى بوابـة حديدية ، بوابة مدافن الكنيسة · ووقفت الروح بين القبور واشارت الى واحد منها ·

فقال سكروج :

ـ أجيبينى على سؤال واحد ٠٠ هل هذه ظلال الأشياء التى ستكون ، أم هى مجرد ظلال الأشياء التى قد تكون ٠

وما زال الشبح يشير الى القبر الذى وقف بجواره ٠

قال سكروج :

ـ يبدو أن مسارات الناس تؤدى الى نهايات معينة ، لكن اذا تغيرت المسارات ، ستتغير النهايات ٠ أليس كذلك ؟

ولم تتحرك الروح ٠ وقرأ سكروج على شاهد القبر اسمه هو : ابن عزير ٠

فصرخ :

ـ أيتها الروح ، اسمعينى ! أنا لست الرجل الذى كنته ولن أكون الرجل الذى تسبب فى هذا اللقاء ٠ لماذا ترينى هذا الا اذا كنت تجاوزت كل أمل ؟



وقرا سكروج اسمه على شاهد القبر ٠

لم تعط الروح اى جواب لكن يدها بدت تتحرك ٠

ـ سوف اشرف عيد الميلاد فى قلبى ٠ وساحاول ان احافظ عليه السنة كلها ٠ ســـأعيش فى الماضى ، والحاضر والمستقبل ٠ وستكون أرواح أعياد الميـــلاد الثلاث معى ولن أنسى الدرس الذى علموه لى ٠

وحاول ان يمسك يد الروح ٠ ورفع يديه الى أعلى فى دعاء اخير ، لكن الروح قد اختفت ، ورأى حيثما كانت تقف ٠٠٠ عامود سريره ٠

الفصل الخامس

النهـــاية

نعم ، كان عامود السرير هو عامود سـريره وكان السرير هو سريره · والحجرة حجرته ·

فكرر سكروج وهو ينزل من سريره قوله :

ـ ساحيا فى الماضى والحاضـر والمســتقبل وستساعدنى الأرواح الثلاث كلها ·

وقال سكروج وهو يلمس ستائر السرير :

ـ انها ليست منزوعة ، الحلقات وكل شـىء انها هنا وأنا هنا !

وذهب الى حجرة الجلوس ، وقال :

ـ هاهو الاناء والمشروب الساخن فيه ، وها هو الباب الذى دخل منه شبح يعقوب مارلى ، وها هو الركن الذى جلست فيه روح عيد الميلاد الحالى ، وتلك هى النافذة حيث رايت الأرواح الهائمة ·· انها أشـياء صحيحة وحقيقية ! ·· كل شىء حدث ! ها · ها · ها !

حقيقى كانت ضحكة رائعة ، لرجل لم يضحك لسنوات طويلة ، وكانت بشـرى لطـابور طويل من ضحكات المستقبل ·

قال سكروج :

ـ انا لا أعرف أى يوم هذا ، ، أنا لا أعرف كم قضيت بين الأرواح ·

وسمع أجراس الكنيسة تدق : كراش ـ كلانج ـ دنج ـ دونج ، فركض الى النافذة وفتحها · لم يكن هناك ضباب انما نور الشمس الصافية الساطعة الذهبية ·· وهواء طلق حلو ·· وأجراس مرحة ·

فصاح سكروج على صبى كان يرتدى أفضل ملابسه فى الشارع :

ـ ما هو اليوم ؟

فقال الصبى :

ـ ايه ؟

قال سكروج :

ـ ما هو اليوم ؟

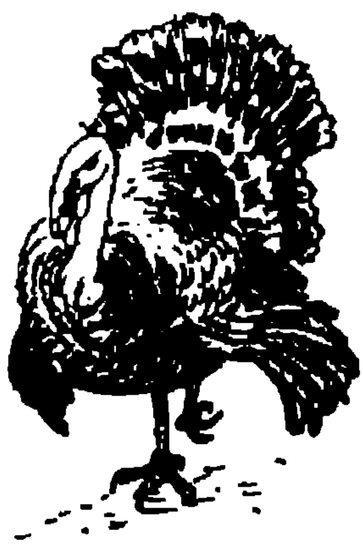
فأجاب الصبى :

ـ اليوم ؟ لماذا ، انه يوم عيد الميلاد !

قال سكروج لنفسه :

ـ انه يوم عيد الميلاد ! اننى لم أضيعه ٠٠ لقد فعلت الأرواح كل هذا فى ليلة واحدة ! أهلا بك ياولدى ، هل تعرف ذلك المحل الذى فى الشارع التالى حيث يعلق ديك رومى ممتاز ؟ ليس الديك الرومى الصغير ٠٠٠ الديك الرومى الكبير الممتاز ٠

فأجاب الصبى :



بوقلمون ممتاز

ـ ماذا ، الديك الذى فى حجمى ؟

قال سكروج :

ـ نعم ، يابنى ·

فاجاب الصبى :

ـ انه معلق هناك الآن ·

قال سكروج :

ـ نعم هو · حسن ، اذهب واشتريه · قل للرجل ان ياتى به الى هنا وساخبره الى أين ياخذه · ارجع مع الرجل وسوف اعطيك شلنا · عد فى أقل من خمس دقائق وساعطيك شلنين ·

وركض الصبى ·

وهمس سكروج ، فاركا يديه :

ـ سابعث به الى منزل بوب كراتشيت · ولن يعرف من بعث به · انه فى ضعف حجم تاينى تيم !

وصعد سكروج الى الطابق العلوى وارتدى افضل ملابسه ، وخرج الى الشوارع أخيرا · كان الناس قد بدأوا يخرجون من منازلهم كما قد رآهم مع روح عيد الميلاد الحالى ·

ومشى ويداه من خلفه وأخذ يتطلع اليهـــم فى ابتسامة سعيدة · كان منظره يسر الناظرين حتى ان ثلاثة او أربعة رجال حيوه قائلين :

ـ صباح الخير يا سيدى · عيد ميلاد ســـعيد لـــك !

وكان سكروج يقول بعدها أن هذه الكلمات هـــى أسعد ما سمعه بأذنيه ·

ولم يمش كثيرا عندما رأى أحد السادة الذين جاءوا الى مكتبة أمس الأول قائلين :

ـ سكروج ومارلى ، على ما نعتقد ·

قال سكروج آخذا السيد المسن بكلتا يديه :

ـ يا سيدى العزيز ، كيف حالك ؟ آمل ان تكون قد جمعت ما تصبو اليه · انه كان عطف كبير منك ان تاتي لى · وعيد ميلاد سعيد لك يا سيدى !

ـ مستر سكروج ؟

قال سكروج :

ـ نعم ، هذا اسمى ، لكن أخشى ألا يكون مبهما لك ·· اسمح لى أن أسألك العفو واذا سمحت ··

وهنا همس سكروج فى أذنه ·

فقال السيد المهذب :

ـ يا بركة الله ! يا عزيزى مستر سكروج ، هل أنت جاد ؟

قال سكروج :

ـ اذا سمحت · أرجو منك أن تقبل هذا المبلغ ·

فهناك مبالغ قديمة لم أدفعها لك وأنا مدين لك بها · تعال وقابلنى وسنأخذ النقود ·

قال السيد المهذب المسن :

ـ سأفعل ٠

وذهب سكروج الى الكنيسة ، وبعدها تجول فى الشوارع وراقب الناس وهم يسرعون الى هنا وهناك ٠

وبعد الظهر ذهب سكروج الى منزل ابن أخته ٠ ومر على الباب عدة مـرات قبل أن يجمع شـــجاعته ليصعد ويدق عليه ٠

قال للفتاة :

ـ هل سيدك بالبيت ؟

ـ نعم ياسيدى ٠

قال سكروج :

ـ أين هو يا عزيزتى ؟

ـ انه فى حجرة الطعام ياسيدى ٠

قال سكروج :

ـ شكرا لك ٠ انه يعرفنى ٠ سأدخل وحدى ٠

كانوا يتجهون بانظارهم الى المائدة الممدودة آمامهم ومعدة للأكل ·

قال سكروج :

ـ فريد !

فصاح فريد :

ـ معقول ، اللهم بارك روحى ! من ؟

ـ انه أنا ، خالك سكروج · لقد جئت للعشاء · هل تسمح لى بالدخول يا فريد ؟

كانت حفلة مدهشة ، والعابا مدهشة وسعادة مدهشة ·

وفى صباح اليوم التالى ، وصل الى مكتبه مبكرا ودقت الساعة التاسعة · ولم يأت بوب كراتشيت · التاسعة والربع ··· ولم يأت بعد ·· لقد تأخر ثمانى

عشرة دقيقة عن موعده · جلس سكروج وترك الباب مفتوحا لكى يراه عندما يدخل ·

قال سكروج فى صوته المعتاد :

ـ أهلا ، ماذا تقصد بقدومك هنا فى هذا الوقت من اليوم ؟

قال بوب :

ـ أنا آسف ياسيدى · لقد تأخرت عن موعدى ، لكنها مرة فى السنة ياسيدى · لقد كنا نحتفل بالأمس ·

قال سكروج :

ـ أحب أن أقول لك ما سأفعله الآن · سأرفع مرتبك · وسأحاول أن أساعدك على مهامك العائلية · يجب أن نتكلم عن شئونك بعد ظهر اليوم · ضع مزيدا من الفحم فى النار · اشتر صندوق فحم آخر لحجرتك ... ب كراتشيت ·

ان تاينى تيم لم يمت · واصبح سكروج أبا ثانيا للأسرة · واصبح طيبا كصديق ، وطيبا كرئيس ، وطيبا كأى رجل طيب فى المدينة · واصبح يقال عنه انه يعرف كيف يحتفل بعيد الميلاد جيدا · وكنا نقول ذلك بصدق !

وهكذا كما قال تاينى تيم :

ـ فليبارك الله فى كل واحد منا !

الرواية الثانية

فرقـــع لوز فى الدفايـــة

CHRICKET ON THE HEARTH



فرقع لــوز ٠

الفصل الاول

هذه صورة « فرقع لوز » .. وهو حشرة تأتى الى المنزل وتعيش فى شق قرب المدافىء وتصدر صوتا : تشيرب .. تشـيرب .. تشيرب .. تشيرب ! ويعتقد الناس أن « فرقع لوز » يجلب السعادة والحظ الطيب للمنزل الذى يعيش فيه .

بدأت القصة بغلاية الشاى ..

ملأت مسز بيريبنجل الغلاية من برميل المـاء ، ثم وضعتها على النار . كانت امسية باردة ، وكان الماء فى البرميل باردا ولم تحب الغلاية أن يوضع ماء بارد

فى جوفها • ورفعت انفها لمسز بيريبنخل وكأنها تقول :

ـ انا لن اغلى • انا لن اغلى !

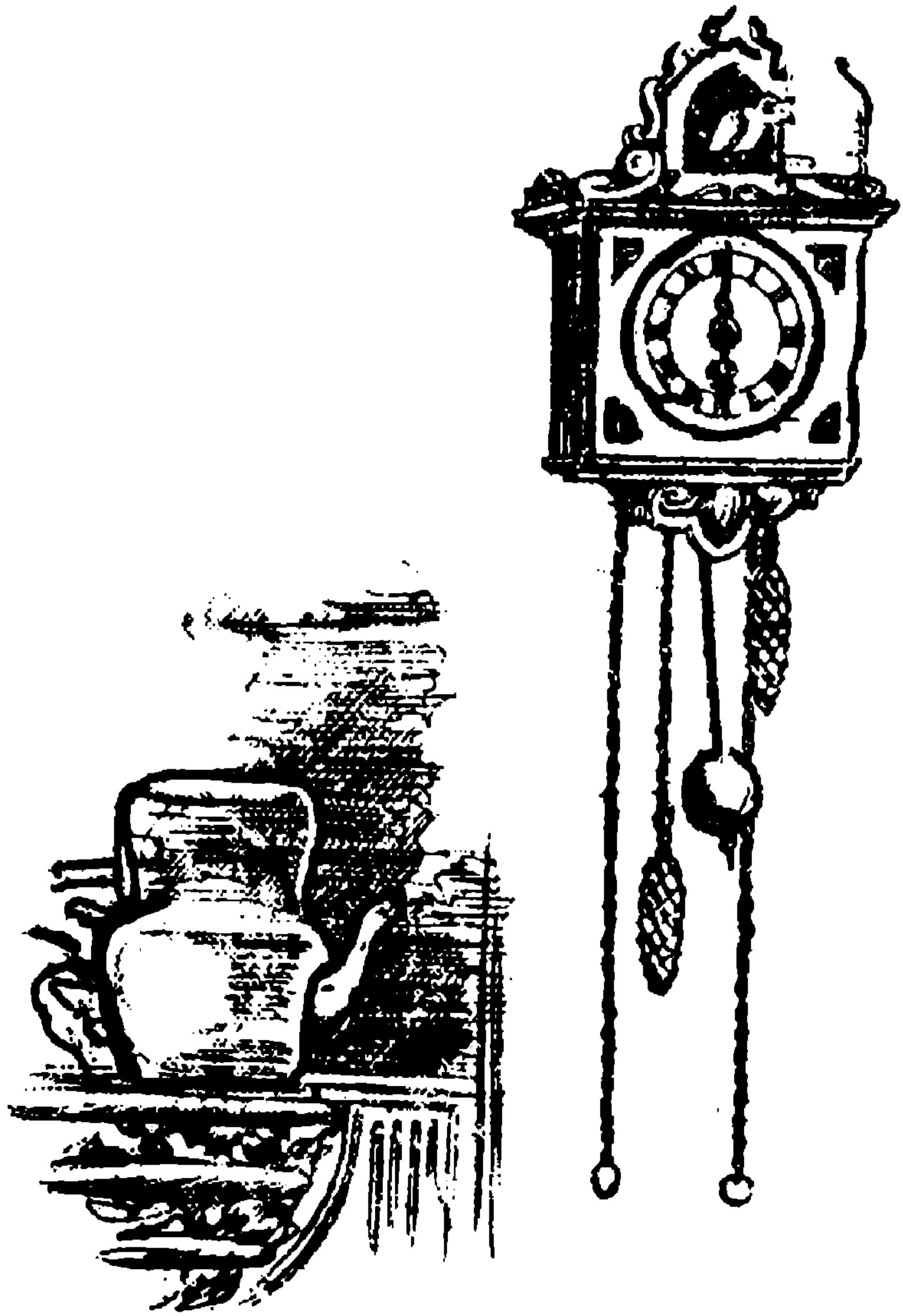
لكن مسز بيريبنجل جلست بجانب النار وضحكت والنار تتأجج •

وفوق الموقد كانت توجد ساعة مصنوعة على شكل منزل ، وتحت السطح مباشرة كان هناك باب صغير يفتح كل ساعة ويخرج منه طائر صغير ويقول :

ـ كوكو !

وبمجرد أن نظرت مسز بيريبنجل عاليا الى الساعة ، انفتح الباب الصغير وخرج الطائر وقال :

ـ كوكو ! كوكو ! كوكو ! كوكو ! كوكو ! كوكو ! • ست مرات • واصدرت الغلاية اصوتا غريبة فى حلقها وكأنها ترحب لشخص ما قادم للمنزل • وعندئذ واخيرا غليت ، وبعد ما غليت الغلاية مباشرة قال « فرقع لوز » :



الغلاية تغلى والطائر يخرج من الساعة ويغرد : كو ٠٠ كو ٠

ـ تشيرب ! تشيرب ! تشيرب ! تشيرب !

وهكذا استمرا سويا :

ـ بوبل ـ بوبل ! تشيرب ـ تشيرب !

سمعت مسز بيريبنجل شيئا ما فيما بين صوت الغلاية وصوت « فرقع لوز » .. سمعت صوت عجلات وصهيل حصان ، ثم سمعت صوت رجل . فأخذت الطفل من سلته وركضت الى الباب . ودخل رجل أطول منها بكثير واكبر منها سنا بكثير . وكان عليه أن ينحنى مسافة طويلة ليقبلها ، لكنها كانت تستحق تجشم العناء .

قالت مسز بيريبنجل :

ـ أوه يالها من مفاجاة طيبة ياجون ! ماحالتك هذه مع هذا الطقس !

قال جون ببطء :

ـ حسن .. كما ترين يا نقطة ، انه ليس طقس الصيف بالضبط .

قالت مسز بيريبنجل :

ـ اود الا تنادينى باسم نقطة ، ياجون · انا لااحب ذلك ؟

لكن كان وجهها ينم بوضوح تام انها تحبه جدا بالفعل ·

قال جون واضعا يده الكبيرة على خصرها :

ـ لماذا ، وماذا انت غير ذلك ؟ انك مجرد نقطة صغيرة !

كان جون بيريبنجل موزعا ومتعهد نقل كان مجرد جون الشريف البطىء ·· وهو ثقيل جدا ، لكنه خفيف الروح جدا · خشنا للغاية من الخارج لكنه لطيف للغاية فى الداخل · كان لديه حصان وعربة وكان ينقل البضاعة وينقل الناس من مكان لمكان ·

كانت تيللى سلوبوى منتظرة وراء مسز بيريبنجل لتاخذ منها الطفل · كان عمرها لايزيد عن اربع عشرة سنة · كانت تقف هناك وفمها وعيناها مفتوحتان فى

اتساع تراقب جون ونقطـة · مد جـــون يده ليلمس الطفل ، ثم سحبها وكأنه خاف أن يسحقه · وانحنى كثيرا ونظر اليه من مسافة آمنة ·

ـ أليس جميلا ياجون ؟ ألا يبدو كالفتنة النائمة فى نومه ؟

قال جون :

ـ فاتنا للغايــة ، وهو نائــم عمومــا ، أليــس كذلك ؟ انظرى الى فمه ، يفتح ويقفل مثل السمكة !

قالت نقطة :

ـ انك لاتستحق أن تكون أبا ، لا تستحق · كيف لك أن تعرف المشــاكل الصـغيرة التى لدى الأطفال ؟

وادارت الطفل على ذراعها الأيســر وربتت على ظهره برفق ، وقالت :

ـ ريح(*) !!

(*) ريح معناها هنا : تقلصات فى المعدة ·

قال جون وهو يخلع معطفه الخارجى

ـ ريح ! لقد كنت أحارب مع الريح الليلة · كانت تهب من الشمال الشرقى فى العربة مباشـرة طـول الطريق الى البيت ·

قالت مسز بيربينجل :

ـ مسكين يارجل ياعجوز ! وهكذا أنت مرهق ، هاك يا تيللى خذى هذا العزيز الفاتن ، حتى أستطيع أن أكون مفيدة بعض الشىء · هاى ، تعال أيها الكلـب الطيب ! هاى بوكسر ! دعنى أصنع الشـاى أولا ثـم سأساعدك فى نقل الأشياء من العربة ·

خرج جون ليعتنى بحصانه ، وركض الكلب بوكسر من والى الحجرة ·

قالت نقطة :

ـ ها هو ! ها هو ابريق الشاى جاهـز ، وها هو بعض اللحم والزبد والخبز ، وهنا سلة من أجـل

الأشياء الصغيرة من العربة اذا كان لديك اى شىء ·· اين انت ياجون ؟

وحملت السلة الكبيرة وخرجت بها للعربة وعادت مساعدة زوجها فى حملها ·

فقال « فرقع لوز » :

ـ تشيرب ـ تشيرب !

قالجون بطريقته البطيئة :

ـ اهلا ! ان « فرقع لوز » اكثر ابتهاجا الليلة !

ـ نعم ، بالتاكيد سيجلب لنا حظا طيبا ، ياجون فهو دائما يفعل ذلك · ان وجود « فرقع لوز » بالقرب من المدفأة يعتبر اكثر الأشياء حظا فى العالم ·

تطلع جون اليها بنظرات طيبة ودودة ·· ثم قالت نقطة :

ـ فى المرة الأولـــى التى سمعت فيها صـــوت « فرقع لوز » المبهج الخافت ياجون ، كان فى تلك الليلة

عندما اتيت بى للبيت ، عندما اتيت بى الى بيتى الجديد هنا ، منذ سنة ياجون ·

اوه نعم ، بالطبع ، جون يذكر ذلك ·

قالت نقطة :

ـ صرخة تشيرب ، كانت ترحابا بى · كانت مفعمة بالوعد والأمل · كان يبدو انه يقول انك ستكون كريما ولطيفا معى وانك لن تتوقع أن تجد راس عجوز على كتفى زوجتك الصغيرة الحمقاء ·

قال جون ، واضعا ذراعه برقة حول كتفيها :

ـ لا ، لا !

ـ لقد نطق بالحقيقة ، ياجون ، عندما قال ذلك ، لأنك كنت افضل وأكرم واعظم الأزواج حبا لى · واصبح هذا بيتا سعيدا ، ياجون ، وانا أحب « فرقع لوز » الذى رحب بى !

قال متعهد النقل :

ـ وأنا كذلك ، وأنا كذلك ، يانقطة !

قالت نقطة :

ـ احيانا ، فى المساء عندما أكون حزينة قليلا واشعر بوحدة شديدة قبل أن يكون الطفل هنا ليؤنس وحدتى ، كان صوت تشيرب ـ تشيرب تشيرب القريب من المدفأة ينبئنى بصوت طفل صغير آخر ، فى غاية الحلاوة وفى غاية الاعزاز لدى ، الذى بمجيئه ستختفى كل مشاكلى مثل حلم قد ولى • واعتدت على الخوف من قبل ، ياجون ، عندما كنت صغيرة من أن زواجنا قد لايكون زواجا سعيدا بسبب فارق السن الكبير بيننا •• كونى طفلة وانت بمثابة عم لى اكثر من زوج • ولكن كان صوت تشيرب ـ تشيرب ـ تشيرب يعيد البهجة لد ثانية ويملؤنى بثقة جديدة وايمان مقين • انا احب « فرقع لوز » •

قال جون :

ـ وأنا كذلك •

ووضعت يدها على ذراعه وتطلعت الى أعلى اليه وكأنها ستقول له شيئا · ثم نزلت على ركبتها بجانب السلة ، وقالت :

ـ لا توجد أشياء كثيرة الليلة · لكني رأيت بعض البضائع خلف العربة الآن وأشياء أخرى كبيرة ·

قال جون :

ـ انها تسبب لنا مشاكل اكثر لكنهم يدفعون لنا افضل ·

ـ وما هذا الصندوق المستدير ؟ معقول ، تكون كعكة زفاف ! شخص ما سيتزوج ! كعكة من هذه ، ياجون ؟ الى أين ستذهب ؟

قال جون :

ـ اقرئي ما هو مكتوب على الجانب الآخر ·

ـ معقول ، جون ! يالطيبتي ، جون !

قال جون :



كعكة الزفاف ٠

ـ نعم · من كان يصدق هذا !

قالت نقطة وهى جالسة على الأرض وتهز رأسها لـــه :

ـ هل تقصد أن تقول انه تاكلتون العجوز ، صانع اللعب ؟

فاوما جون ، وقال :

ـ نعم ، انه سيتزوج ماى فيلدنج ·

كانت نقطة مندهشة جدا ، فصاحت :

ـ معقول ! معقول ! كنا أنا وهى فى المدرســة سويا ، ياجون ! انه عجوز جدا ··· انه يختلف عنها ! معقول ! كم سنة ! انه أكبر منك ، ياجون ؟

قال جون ساحبا كرسيه الى المائدة :

ـ سأشرب أكوابا من الشـــاى الليلة أكثر من تاكلتون العجوز ·

وبدأ يأكل قطعة من اللحم البارد ثم أضاف :

ـ اما بالنسبة للأكل ، فانا لا آكل الا قليلا لكنى أستطيع بذلك القليل ، يا نقطة ٠

فى الحقيقة كان جون ياكل كثيرا جدا ، لكن مزحته هذه لم تجلب اى ابتسامة الى وجه زوجته ٠ ووقفت بين الطرود ٠ دافعة صندوق الكعكة بقدمها ببطء بعيدا عنها ٠ ووقفت هناك غير مفكرة فى الشاى او جون ٠

بالرغم من أنه نادى عليها وخبط على المائـــدة بسكينه ٠

وأخيرا نهض ولمسها على ذراعها ونظرت اليــه للحظة ثم اسرعت الى مكانها ، ضاحكة على نسيانها ٠ لكنها لم تضحك كما قد ضحكت من قبل ٠

لقد تغير سلوكها : (لقد توقف « فرقع لوز » عن عزف موسيقاه ٠٠٠ واصبحت الحجرة ليست بالبهجة التى كانت عليها ٠٠٠) ٠

وقالت :

ـ هذه هى كل الطرود ، اليس كذلك ، ياجون ؟

قال :

ـ نعم ، كلها !

واضاف بعد أن اخذ نفسا طويلا :

ـ لماذا ••• لا ••• انا ••• لقد نسيت السيد العجوز !

ـ السيد العجوز ؟

قال جون :

ـ فى القرية • لقد كان نائما آخر مرة رايتــــه فيها •

وخرج من الباب ، وقال :

ـ هالو ، استيقظ ! هيا !

ودخل الغريب الحجرة والكلب بوكسر فى عقبيه كان له شعر ابيض طويل ووجه قوى جسور •• كانت عيناه داكنتين وبراقتين • ونظر حوله بابتسامة ، ثــم



الغريب يقابل متعهد النقل وزوجته .

انحنى الى زوجة متعهد النقل . كانت ملابسه غريبة .. متخلفة عن العصر بزمن طويل . وكان يحمل فى يده عصا كبيرة فتحها فاصبحت كرسيا . وجلس عليه .

قال متعهد النقل متلفتا الى زوجته :

ـ بهذه الطريقة وجدته جالسا على جانب الطريق . لم يستطع أن يسمع شيئا مما قلته ، لكنه أعطانى ثمانية بنسات فقط ، وقال (مقابل العربة) ثم صعد الى العربة ، وها هو .

قال الغريب :

ـ اتركونى هنا حتى يأتى شخص من أجلى . لا تزعجوا أنفسكم بى !

وأخرج نظارة من أحد جيوبه الكبيرة وكتابا من جيب آخر وبدأ يقرأ .

نظر متعهد النقل اليه ثم تبادل النظرات مع زوجته ورفع الغريب رأسه وأخذ ينظر الى كل منهما على حدة ثم قال :

ـ ابنتك ، صديقى العزيز ؟

قال جون :

ـ زوجتى !

قال الغريب :

ـ ماذا قلت ؟

فصاح جون :

ـ زوجتى !

قال الغريب :

ـ عجبا ! بالتأكيد انها صغيرة جدا !

وقلب الصفحة واستمر فى القراءة . ثم رفـــع بصره ، وقال :

ـ عندك أطفال ؟

فأومأ جون بالايجاب

ـ بنت ؟

فصاح جون :

ـ ولدا !

ـ صغيرا جدا أيضا ، ايه ؟

فصاحت مسز بيريينجل :

ـ شهرين وثلاثة ايام ·

قال جون :

ـ انصتى ! شخص ما قد أتى من أجله ، بالتأكيد هناك أحد ما عند الباب · افتحى الباب يا تيللى

وقبل أن تستطيع تيللى الوصول الى الباب ، فتح من الخارج ودخل رجل صغير نحيل مهموم وله وجه حزين ويبدو أنه قد صنع معطفا لنفسه من أحد الأكياس ، فعندما استدار ليغلق الباب ظهر على ظهر معطفه (ج ح ت فى حروف كبيرة سوداء ·

وقال الرجل الضئيل :

ـ مساء الخير ياجون ، مساء الخير مسز بيريبنجل ·

كيف حال البيبى ؟ وبوكسر ؟ آمل أن يكون الجميع بخير ٠

قالت نقطة :

ـ الجميع بخير يا كاليب ٠

وسأل متعهد النقل :

ـ هل أنت مشغول الآن يا كاليب ؟

قال :

ـ نعم ، مشغول الى حد كبير ياجون ٠ هناك طلب كبير على الحيوانات الخشبية فى الوقت الحالى ٠ اتمنى أن أستطيع تحسين صنعها ٠ هل احضرت لى اية طرود ، ياجون ؟

وضع متعهد النقل يده في جيبه واخرج علبة صغيرة ، وقال :

ـ هذه لك !

قال الرجل الصغير ، وهو يتهجى العنوان :

ـ الى كاليب بلامار ، مع الدفع • مع الدفع ، ياجون الدفع ؟ ذلك معناه نقودا • لا أعتقد أنه لى •

قال متعهد النقل :

ـ مع العناية • تلك الكلمة ليست الدفع •

قال كاليب :

ـ أوه ، لا ، (مع العناية) • هذا تمام • نعم ، انها علبتى • لكنها قد تكون (مع الدفع) ، اذا كان ابنى فى امريكا الجنوبية قد عاش ، ياجون • لقد أحببتـــه كابنك ، أليس كذلك ؟ لكن هذه مجرد علبة بها عيون العرائس ، اللعب ، من أجل عمل ابنتى • اتمنى لو كان بصر عينيها فى العلبة ، ياجون !

قال متعهد النقل :

ـ نعم ، اتمنى أن يعود لها بصرها •

قال الرجل الصغير :

ـ شكرا لك ، من الغريب انها لاترى الدمى ،

وجميعها تنظر اليها طول النهار • هل يوجد أى شىء من أجل مسترتاكلتون ؟ لقد كان هنا ، أليس كذالم ؟

قال متعهد النقل :

ـ لا ، انه مشغول يخاطب ود السيدة •

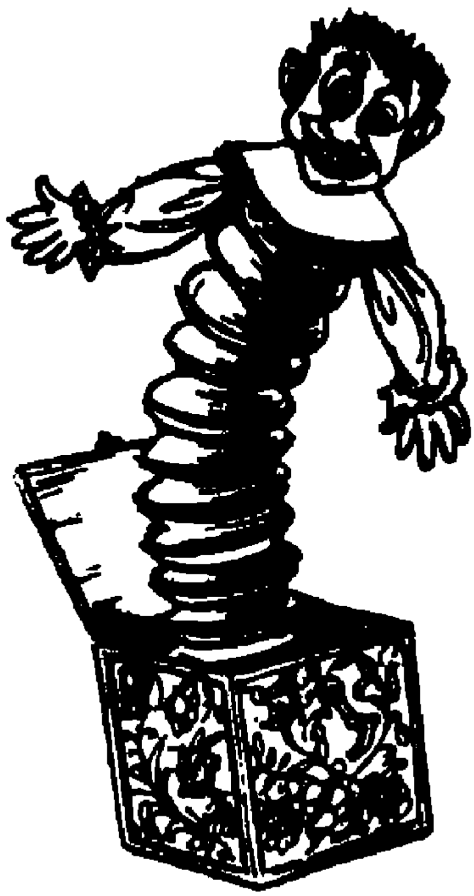
قال كاليب :

ـ حسن ، سوف ياتى • لقد قال لى انه سياخذنى فى عربته •

والتقى بمستر تاكلتون وهو داخل لتوه عند الباب •

ـ أوه ، هل انت هنا ؟ انتظر لحظة وساوصلك للبيت •

اذا كان مرابيا أو محاميا أو حتى رجل شرطة لكانت نظراته تناسبه أكثر • لقد ظل يعيش على صناعة لعب الأطفال طوال حياته ، لكنه كان عدوهم • انه يكره اللعب • لاشىء يجعله يشترى لعبة ، لذلك كان يعطى



عفريت العلبة •

وجوه كل اللعب التى يبيعها نظرة حزن ، قبح ، غضب كراهية • فالفلاحون الدمى يبدون حانقون مع أبقارهم ، والعفاريت فى « عفريت العلبة » كانوا يبدون غاضبون لكونهم محبوسين فى العلبة • والراقصون الدمى يبدون غاضبين لجعلهم يرقصون • والبنات الدمى يبدو عليهن الحزن ! وكأنهن يتمنين لو أنهن لم يولدن مطلقا •

وكان تاكلتون تاجر اللعب سيتزوج من فتاة صغيرة جميلة •

قال تاكلتون :

ـ الخميس التالى ، الثلاثون من يناير • ذلك هو يوم زفافى •

قال متعهد النقل :

ـ معقول ! كان ذلك يوم زفافنا أيضا •

فضحك تاكلتون :

ـ ها •• ها : ذلك عجيب • انكما مجرد زوجين آخرين •

وبدت نقطة غاضبة جدا بسبب هذه الكلمات ٠

فسأل متعهد النقل :

ـ ماذا تقصد ٠٠٠ مجرد زوجين آخرين ؟

قال تاكلتون :

ـ حسن ، يوجد فرق بسيط فى الأعمـــار ٠٠٠ نفس الحالة ، تعاليا واقضيا الأمسية معنا قبل الزفاف ٠

قال جون :

ـ لماذا ؟

ـ حسن ، الحقيقة أن لكما مظهرا مريحا سويا ، أنت وزوجتك ٠ أنتما تعرفـــان أكثر ، طبعـــا ٠ لكـــن الحقيقة أن وجودكما سيكون له تأثير طيب على الفتاة المهذبة التى ستكون زوجتى ٠

قال جون :

ـ لقد رتبنا أن نحتفل بعيد زواجنا فى البيت ،

وقطعنا وعدا على انفسنا منذ ستة شهور • تعلم اننا نعتقد ان البيت •••

فقال تاكلتون :

ـ باه ! ماهو البيت ؟ اربعة جدران وسقف ! لماذا لاتقتل ذلك « الفرقع لوز » الذى يعمل هذه الضجة انا اقتله ! ودائما اقتله • فانا اكره ضجيج هذه الحشرات !

قال جون :

ـ هل تقتل « فرقع لوز » ؟!

فقال الآخر :

ـ نعم ، أضع قدمى عليه ••• لكن قل أنكما ستأتيان فأنا وأنت ياجون نريد من زوجتينا أن يقنعا بعضهما بانهما فى رضا تام وانهما لن يكونا افضل من ذلك • انا أعرف طرق النساء ، فاذا قالت واحدة منهن امرا ما تصمم الأخرى دائما ان تكون افضل فى هذا الأمر • فاذا قالت زوجتك لزوجتى « انا اسعد امراة

فى العالم وزوجى هو افضل زوج فى الدنيا وأنا احبه » ، عندئذ ستقول زوجتى نفس الشىء أو أزيد وتصدقه تقريبا !

فسأل متعهد النقل :

ـ هل تقصد أنها ليست كذلك ؟

قال تاكلتون :

ـ ليست كذلك ؟ ليست ماذا ؟

وكان متعهد النقل على وشك أن يقول :

ـ ليست محبة لك ·

لكنه غير ذلك بسرعة الى :

ـ أنها ليست مصدقة لذلك ·

قال تاكلتون :

ـ آه ! انك تمزح ! تصبحون على خير يا أصدقائى ، يجب أن أذهب الآن · انكما لا تريدان

الحضور فى تلك الأمسية ؟ حسن ! غدا سوف تزوران كاليب بلامار ، اعرف · ساقابلكما هناك · وساحضر الفتاة المهذبة التى ستكون زوجتى ··· ما رايكما ؟

وهنا صرخت زوجة متعهد النقل صرخة مفاجئة عالية وحادة ·· ثم نهضت من مقعدها ووقفت هناك كانسان تحول الى حجر من الدهشة · وكان الرجل الغريب قد تقدم نحو النار ليدفىء نفسه وكان يقف على بعد خطوة من مقعدها · ووقف ساكنا ·

وصاح متعهد النقل :

ـ نقطة ! عزيزتى ، ما الأمر ؟

واجابت فقط بخبط يديها سويا والانفجار فى ضحكة جامحة · ثم غطت وجهها وبكت ، ثم ضحكت ثانية · وكان الرجل العجوز واقفا كما كان من قبل ، ساكنا تماما ·

أنا افضل الآن ، ياجون · أنا احسن تماما · أنا ···

لماذا أدارت وجهها تجاه السيد العجوز وكأنها تخاطبه ؟

ـ كان مجرد وهم ، ياعزيزى جون ··· شىء ما جاء فجأة أمام عينى · لا أدرى ماهو ، لكنه زال ، زال تماما

قال تاكلتون متطلعا فى الحجرة من حوله ·

ـ انا سعيد أنه زال · ترى كيف زال واين ذهب وما هو ؟ كاليب ، تعال هنا · من هذا صاحب الشعر الشائب ؟

قال كاليب فى همس :

ـ لا ادرى ياسيدى · أنا لم اره ابدا من قبل فى حياتى ·

قال تاكلتون :

ـ هيا تعال يا كاليب احضر هذه العلبة · آمل ان يكون كل شىء على مايرام الآن ، اليس كذلك ؟

قالت السيدة الصغيرة :

ـ أوه نعم ، لقد زال ، زال تماما ، تصبح على خير !

وهكذا رحل تاكلتون متبوعا بكاليب حاملا علبة كعكة الزفاف على راسه ٠

لقد لاحظ متعهد النقل حضور الغريب اخيرا ٠

قال السيد العجوز متقدما :

ـ ارجو المعذرة ، ياصديقى ، خصوصا انى أخشى أن تكون زوجتك على غير مايرام ، لكن لم يأت احد للقائى ، لذلك اعتقدت ان هناك بعض الخطأ ٠ وحيث أن الطقس بهذا السوء ، فانى أتساءل اذا تكرمت وسمحت لى بسرير هنا ؟

قالت نقطة :

ـ نعم ، نعم ، نعم ، بالتاكيد ٠

قال متعهد النقل مندهشا نوعا ما للسرعة التى وافقت بها :

ـ أوه ، حسن ، انا لا أمانع ، لكنى لست متأكدا من ...

قالت :

هش ، هش !

قال جون :

ـ لماذا ؟ انه لايسمع .

ـ أعرف أنه لايسمع ، لكن ... نعم ، سيدى ، بالتأكيد . ساعد سريرا له حالا .

واسرعت لتقوم بذلك . وبدت منفعلة ومضطربة . كان سلوكها غريبا للغاية حتى أن متعهد النقل وقف يلاحظها فى اندهاش . وأثناء مشيه ببطء غدوا ورواحا لم يقاوم التفكير فيما قد قاله تاجر اللعب . ولم يصدق ما قد قاله تاكلتون ، ومع ذلك جعله يشعر بعدم ارتياح

بشكل غريب · ولم يكن يقصد أن يربط بين ما قد قاله تاكلتون ومسلك زوجته غير العادى ، ومع ذلك خطر الأمران فى عقله سـويا ولم يستطع أن يفصـلهما عن بعضهما ·

تم تجهيز السرير فى الحال ، وذهب الغريب ، الذى لم يأخذ أى شىء سوى الشاى ، الى السرير ·

وبدت نقطة على مايرام ثانية ··· على الأقـل قالت انها أصبحت بخير ثانية ··· وأعدت الكرسـى الكبير قرب النار لزوجها ، وعبأت غليونه وأعطته لـه وأخذت مقعدها الصغير المعتاد بجانبه ·

كانت دائما تجلس على هذا المقعد الصغير · اذ كانت لديها فكرة أنه مقعد مودة ومحبة صغير ·

كانت أفضل من يملأ الغليون فى كل العـالم · فعليك أن تراها وهى تنفخ الغليون وتهزه لتنظفه ثـم تضع أصبعها الصـغير فى تجويفـة الغليون لتكبس الحشو ! ثم عليك أن تراها وهى تشعل الغليون بقصاصة صغيرة من الورق ! كان فنا عاليا رفيعا ·



كانت نقطة تجلس دائما على المقعد الصغير •

وشرع « فرقع لوز » والغلاية فى أغنيتهما ثانية ·
كانت النار تشتعل فى ابتهاج وتألق ، وكان متعهد النقل يدخن غليونه ، والساعة مستمرة تيك - تيك - تيك ، وكان « فرقع لوز » يصيح تشيرب - تشيرب - تشيرب · انها روح بيت جون وموقده ، وجلبت لذهنه التفكير فى «نقاط» كل العصور اللاتى عشن فى هذا المنزل فى الماضى نقاط مع أطفال كثيرين يجرون أمامهن يقطفون الأزهار فى الحقول ، ونقاط متزوجات حديثا بعيون متســـائلة مستحوذات على مفاتيح بيتهن الجديد ، ونقاط صغيرات رءومات كأمهات يدملن أطفالهن لتسميتهم فى الكنيسة ونقاط مسنات يراقبن نقاطهن فلذات أكبادهــن وهــن يرقصن مع الشباب ، نقاط بدينات مع أحفادهن ، ونقاط عجوزات جدا يمشين على عكاز ؛ وكان يوجد أيضا متعهدو نقل مسنين · ومتعهدى نقل شيوخ مرضى ، تمرضهم أيـد لطيفة ، وعربات أكثر جدة مع سائقين

اصغر عمرا ، واخوة بيريينجل مرسومين على الجانب ٠

بين له « فرقع لوز » كـل هذه الأشـــياء ٠٠رآها بوضوح رغم ان عينيه كانتا مثبتتين على النار ، وازداد قلبه خفة وسعادة ، ولم يعد يفكر فيما قاله تاكلتون ٠

لكن في ذهن نقطة ، وهي جالسة هناك ، كان يوجد خيال رجل شاب ٠ كان يبدو واقفا هناك بجانبها ، متكئا بذراعه على المدخنة ٠ لماذا كان يقف هناك قريبا منها هكذا ، ويقول في تكرار :

ـ تتزوج ! وليست لي !

لماذا لايوجد مكان لهذا الخيال في افكار زوجها ؟ ولماذا تقع ظلال هذا الخيال فوق موقده ؟

الفصل الثانى

كان كاليب بلامار وابنته العمياء يعيشان وحدهما فى منزل خشبى صغير جدا قرب ورش تاكلتون · كانت ورش تاكلتون تملأ معظم الشارع · لكن اذا قلبت منزل كاليب بلامار ، لأمكنك أن تحمل أجزاءه فى عربة واحدة ·

لقد قلت أن كاليب وابنته العمياء المسكينة يعيشان هنا · وكان يجب أن أقول ان كاليب يعيش هنا وابنته العمياء المسكينة تعيش فى مكان ما اخر ، فى منـــزل سحرى صوره لها كاليب · فلم تعرف البنت المسكينة أبدا أن الجدران كانت متهدمة ومتكسرة ، وأن العمدان الخشبية مسوسة ومقوسة لأسفل · لم تكن تدرى أن الأطباق والفناجين الرخيصة القبيحة كانت على المائدة

وان الأسى واليأس كانا بالمنزل ، وان كاليب ازداد شعره شيبا اكثر واكثر .. لم تكن الفتاة العمياء تعرف أبدا ان لهما سيدا متحكما باردا قاسيا لا يهتم بهما ... لم تعرف أبدا أن تاكلتون كان تاكلتون . كانت تعتقد أنه رجل شيخ مدقق يحب أن يمزح معهما ، وبالرغم من انه يتخذ كل رعاية ممكنة تجاههما ، ويكره أن يسمع كلمة شكر .

كل هذا كان فعل كاليب . لقد كان عنده هو ايضا «فرقع لوز » في الموقد . وعندما كان كاليب ينصت بحزن الى موسيقاه وكانت الطفلة يتيمة الأم صغيرة جدا ، أعطاه « فرقع لوز » فكرة أنه حتى فقدانها لبصرها قد يتحول الى بركة ويمكن أسعاد البنت بواسطة هذه الوسيلة .

كان كاليب وابنته يعملان سويا فى حجرتهما التى يعيشان فيها أيضا . كانت مكانا غريبا جدا . كان يوجد بها منازل مؤثثة وغير مؤثثة ، لدمى من جميع الأشكال فهناك منازل متوسطة الحجم لدمى الطبقة المتوسطة ،

وكانت هناك منازل عبارة عن مجرد مطبخ وحجرة واحدة لدمى الطبقات الدنيا ، وكانت هنـــاك المنازل الكبيرة الفاخرة لدمى الطبقة العليا • وبعض المنازل كانت مؤثثة بالفعل ، واخرى يمكن فرشها فى الحـــال من ارفف كاملة من الكراسى والموائد والسرر والستائر وكل شىء تحتاج اليه • واللوردات وزوجاتهـــم وكل الناس التى صنعت من اجلهـــم هذه المنـــازل كانـــوا مصنوعين وموضوعين هنا وهناك فى سلال •

ولقد حسن صانعو الدمى فى طبيعة الصـــنعة ، لأن الدمى لم تكن ترقد على حرير او على قطن او على خرق • وكانوا يصنعون من اشياء مختلفة • فالسيدة الدمية الثرية كانت لها اطراف من الشمع ، مشـــكلة بشكل جميل •• ودمى الطبقة المتوسطة كانت مصنوعة من الجلد ، ومايليها كان مصنوعا من قماش القطن المتين اما الفقراء من عامة الشعب فكانت اذرعتهم وأرجلهـــم مصنوعة من اعواد الثقاب •

كانت هناك اشياء اخرى كثيرة بجانب الدمى فى

منزل كاليب بلامار · فكانت هناك طيور خشبية مع حيوانات وعربات صغيرة · وكانت هناك أيضا جياد من كل صنف ونوع وأشكال غريبة المنظر تفعل أشياء غريبة عندما يجعلها الشخص تدور · وبهذه الطريقة كانت هذه اللعب ليست مثل الناس الحقيقيين ، لأن لمسات بسيطة جدا ستسبب الرجال والنساء أن يقوموا بأشياء غريبة جدا ، حسب ما يتفتق عنه فكر صانع اللعب ·

كان كاليب وابنته جالسين منهمكين فى عملهما · فالفتاة العمياء مشغولة بتلبيس الدمى ، وكاليب يدهن النوافذ ويركبها فى منزل الدمى ·

قالت بيرثا ، ابنة كاليب :

ـ لقد خرجت فى المطر ليلة أمس ، يا أبى · خرجت فى المطر بمعطفك الجديد الجميل !

فأجاب كاليب ، ناظرا لأعلى حيث مكان المعطف ، الذى قد وصفناه من قبل مصنوعا من جوال ، وكان معلقا ليجف :



كاليب وابنته العمياء يصنعان لعب الأطفال .

ـ فى معطفى الجديد الجميل ٠

ـ انا سعيدة جدا انك اشتريته يا أبى ٠

قال كاليب :

ـ نعم ، اشتريته من محل فخم جدا ٠ فى الحقيقة انه جميل بالنسبة لى اكثر من اللازم ٠

ارتاحت الفتاة العمياء من عملها ، وضحكت :

ـ أكثر من اللازم ، يا أبى ؟ وما هو الجميل أكثر من اللازم بالنسبة لك ؟

قال كاليب ، ملاحظا أثر ما قاله على وجهها :

ـ انا أكاد أخجل من لبسه ، على الرغم من سماعى للأولاد والناس يقولون من خلفى (هو ـ هو ! ما هى الأناقة والا فلا ولا اعرف الى أى اتجاه أنظر ٠

يالها من فتاة عمياء سعيدة ، حيث قالت :

ـ أستطيع أن أراك يا أبى بكل وضوح وكأن لى عينين ٠ معطف أزرق ٠٠٠

قال كاليب :

ـ ازرق زاه ٠

فصاحت الفتاة :

ـ نعم ، نعم ، أزرق زاه ! اللون الذى أستطيع تذكره فى السماء ٠ وأنت تخطر فيه ، يا أبى العزيز ، بعيونك المرحة ، ووجهك المبتسم ، وخطوتك الطلقة ، وشعرك الداكن ، تبدو أنيقا وشبابا ٠

قال كاليب ، متراجعا خطوات قليلة للخلف لكى ينظر الى عمله :

ـ ها هو ، لقد انتهى هذا المنزل ٠ مع الأسف ان واجهة المنزل تفتح كلها فى الحال ٠ اتمنى لو استطعت ان اضع سلالم وأبوابا للحجرات ٠

قالت ابنته :

ـ انك تتكلم بارتياح تام ٠ الست متعبا ، يا ابى ؟

قال كاليب :

متعبا ؟ وما الذى سيتعبنى يابيرثا ؟ أنا لم أتعب أبدا • ومامعنى كلمة متعب ؟

ولكى يظهر أنه لم يكن متعبا على الاطلاق بدأ يغنى اغنية صاخبة عالية •

قال تاكلتون ، مدخلا رأسه من الباب :

ـ ماذا ! هل أنت تغنى ؟ أنا لا استطيع أن أضيع الوقت فى الغناء •

وقال :

ـ ولكنى سعيد أنك تستطيع • وعشمى أن تجد وقتا لتقوم ببعض العمل أيضا • فمن الصعب ايجاد الوقت لكليهما ، على ما أعتقد •

فهمس كاليب لابنته :

ـ اذا أمكنك أن تشاهديه يابيرثا ••• الطريقة التى ينظر بها الى ! انه رجل يحب المزاح ، واذا لم تعرفيه لفكرت أنه يعنى فعلا مايقول !

ابتسمت الفتاة العمياء وهزت راسها ، قائلة :

ـ انك دائما مرح وطيب القلب معنا ٠

فلاحظها تاكلتون لأول مرة ٠

فسألها :

ـ أوه ، كيف حالك ؟

ـ بخير ٠٠٠ والحمد لله ٠

فهمس تاكلتون لنفسه :

ـ مخلوقة مسكينة ! مجنونة ، مجنونة تماما !
واخذت الفتاة العمياء يده وقبلتها ٠

قال تاكلتون :

ـ ما الأمر الآن ؟

قالت الفتاة العمياء :

ـ أوقفتها بالقرب من سريرى عندمــا ذهبــت للنوم ليلة أمس ، وعندما عرفت بقدوم النهــار أدرت

الشجرة الصغيرة تجاه الشمس وحمدت الله وبــاركت السماء لصنع اشياء بهذه القيمة ودعوت لك بالبركات لارسالها لى لادخال البهجة على ٠

فقال تاكلتون لنفسه :

ـ مجنونة ، مجنونة تماما !

طبعا كان كاليب هو الذى قد أحضر شجرة الورد الصغيرة للبيت من اجلها واخبرها أن تاكلتون هو الذى قد أعطاها لها ٠

قال تاكلتون ، متكلما للحظة بشكل أكثر دماثة :

ـ بيرثا ، بيرثا ، تعالى هنا ٠

ـ أوه ، أستطيع ان أحضــــر اليك مباشـــرة ! لاحاجة لأن ترشدنى !

ـ هل أقول لك سرا يا بيرثا ؟

فأجابت بشغف :

ـ نعم ، من فضلك !

قال تاكلتون :

ـ هذا هو اليوم الذى يزوركمـــا فيـه زوجـة بيريبنجل كالمعتاد أليس كذلك ؟

قالت بيرثا :

ـ نعم ، انه اليوم ٠

قال تاكلتون :

ـ هذا ما فكرته ، حسن ، أحب أن اشــارك فى الحفل ٠

فصاحت الفتاة العمياء فى سعادة :

ـ هل تسمع يا أبى ؟

قال كاليب :

ـ نعم ، سمعت ٠

قال تاكلتون :

ـ اريد أن أقرب جماعة بيريبنجل قليلا لماى فيلدنج لأنى سوف أتزوج مـاى ٠

فصاحت الفتاة العمياء :

ـ تتزوج ·· ؟!

واستدارت مبتعدة عنه بسرعة ·

فهمس تاكلتون :

ـ انها حمقاء للغاية ، وأخشى أنها لن تفهمنى ·

نعـــم ، يابيرثا ، اتزوج ·· زفـــاف · تعرفين ما هو الزفاف ، اليس كذلك ؟

قالت الفتاة العمياء فى صوت رقيق :

ـ نعم ، أعرف ، أفهم ·

فهمس تاكلتون :

ـ هل تفهمين ؟ حسن لهذا السبب أريد أن أنضم للصحبة وأحضر ماى وامها · وسأرسل بشىء بسيط أو ما شابه ··· بعضا من اللحم البارد أو أى شىء · ستنتظرينى ؟

فأجابت :

ـ نعم !

ووقفت فى مكانها مطرقة الراس ·

قال تاكلتون مخاطبا كاليب :

ـ خذ بالك الا تنسى ما قلته لها ·

فأجاب كاليب :

ـ انها لاتنسى أبدا ·

قال تاكلتون :

ـ حسن ، كل رجل يعتقد أن ابناءه مدهشون ·· ياللمخلوقة المسكينة !

وبقوله هذا غادر الحجرة · وبقيت بيرثا كما تركها ، تائهة فى الفكر · واختفت السعادة من وجهها · كان أمرا حزينا جدا · وهزت راسها ، ولكنها لم تقل شيئا ·

ثبت كاليب الجياد فى العربة اللعبة · ثم تسحبت ابنته بالقرب منه وجلست بجانبه ·

قالت :

ـ أبى ، دعنى أستفيد من عينيك .

قال كاليب :

ـ ها هما ، على استعداد دائما . انهما عيناك أكثر من عينى ، يابيرثا . ماذا ستفعل عيناك من أجلك ياحبيبتى ؟

ـ أنظر فى أرجاء الحجرة ، ياأبى . أخبرنى عنها .

قال كاليب :

ـ أوه ، انها نفس الشىء كالمعتاد . انها بسيطة ومريحة جدا . توجد ألوان زاهية على الجدران وأزهار زاهية مرسومة على الأطباق والصحون .

قالت الفتاة العمياء ، وهى تقترب لجانبه واضعة ذراعها حول عنقه :

ـ أبى ، قل لى شيئا عن ماى . هل هى جميلة حقا ؟

قال كاليب :

ـ أوه ، نعم ، انها جميلة فعلا ٠

قالت بيرثا ، باهتمام :

ـ صوتها حلو وموسيقى ، اعرف ٠ فلقد احببت ان اسمعه دائما ٠ لكن شكلها ٠٠٠

قال كاليب :

ـ لا توجد دمية فى هذه الحجرة كلها تضاهى جمالها ٠ وعينيها ٠٠٠

وتوقف فجاة ، لأن بيرثا قد احاطت ذراعها حول عنقه اكثر من قبل ، وقال :

ـ عيناها ٠٠٠

ثم بدأ يغنى الأغنية الصاخبة ، كما كان يفعل دائما فى مثل هذه المواقف الصعبة ٠

ـ صديقنا ، يا أبى ٠٠٠ مستر تاكلتون ٠ أنا لا امل السماع عنه

قال كاليب :

ـ لا ، بالطبع لا ٠

قالت بيرثا :

ـ اذن أخبرنى عنه ثانية ، يا أبـــى الحبيب ٠ وجهه فى غاية الرحمة والحنان ، أنا متأكدة من ذلك ٠ وله قلب عطوف ويحاول أن يخفى كل المحاسن بتمثيل الخشونة ٠

قال كاليب :

ـ وهذا ما يجعله نبيلا ٠

قالت الفتاة العمياء :

ـ نعم ، هذا ما يجعله نبيلا ٠ انه اكبر من ماى يا أبى ؟

قال كاليب ، مضطرا :

ـ نعم ، نعم ، انه أكبر من ماى قليلا ، لكـن ذلك لايهم ٠

ـ نعم ، يا أبى ، ذلك لايهم ، لأنها يمكن ان تكون رفيقته الصبورة عندما يكبر ، وممرضته اللطيفة عندما يمرض ، وصديقته المخلصة فى المعاناة والأحـــزان • ولا تعرف الكلل فى العمل من أجله ، ومراقبته • وتجلس بجانب سريره وتتكلم معه عند استيقاظه وتدعو له عند نومه • كم ستكون سعيدة وهى تقوم بعمل هذه الأشياء ويا للتغييرات اللانهائية لاثبات صدقها وحبها ! هــل ستفعل كل هذا ، يا أبى العزيز ؟

قال كاليب :

ـ أوه نعم ، طبعا ، لاشك فى هذا •

كانت العربة واقفة على باب عائلة بيريبنجــل • وصعدت نقطة ودخلتها ، وقالت :

ـ جون • لقد احضرت سلة الطعام والزجاجات اليس كذلك ؟

قال :

ـ نعم ، نعم ، كله فى الحفظ والصون ، وماذا عن السيد العجوز الآن ···

فظهرت النظرة القلقة على وجه نقطة ثانية ·

قال جون ، ناظرا فى استقامة الى الطريق الذى امامه :

ـ انه مخلوق غريب ، انا لا أستطيع أن أفهمه تماما ، لكن لا أعتقد ان هناك أى ضرر منه ·

قالت نقطة :

ـ أوه لا ، لاضرر على الاطلاق · أنا ··· أنا متأكدة لاضرر على الاطلاق ·

قال جون متطلعا الى وجهها :

ـ نعم ، أنا سعيد لأنك متأكـــدة من ذلك · من الغريب أنه طلب منا الاستمرار فى البقاء معنا ، أليس كذلك ؟

قالت فى صوت منخفض كاد لا يسمعه :

ـ نعم ، غريب جدا ٠

قال جون :

ـ لكنه سيد عجوز فاضل ، وهو كريم فيما يدفعه لنا ٠ أعتقد يمكننا أن نثق فيه ٠ لقد تكلمت معه طويلا هذا الصباح ٠ ويقول ، أنه يستطيع أن يسمعنى أفضل بعدما اعتاد على صوتى ٠ أخبرته اين سنذهب ، فقال ، « حسن ، سأعود للبيت الليلة من ذلك الطريق ٠ ربما يمكنك احضارى معك ثانية وسأعدك الا أغط فى النوم هذه المرة ٠٠ » ما الذى تفكرين فيه يانقطة ؟

ـ ما أفكر فيـــه ، ياجون ؟ أنا ٠٠٠ أنا كنت منصتة لك ٠

قال :

ـ أوه ، عظيم اذن ، كنت أخشى من نظرتك أن اكون قد تكلمت كثيرا فشردت بتفكيرك فى أمر آخر ٠

فلم تجب نقطة ٠

انطلقت العربة فى الطريق وتوقفت هنا وهنـاك لتسليم واستلام الطرود ٠ وكان على مايبدو أن بوكسر له أصدقاء فى كل محطة ٠ وأثناء سفرهم كان الرجال على طول الطريق ينظرون باعجاب نحو نقطة وهـــى جالسة فى مؤخرة العربة واسعد هذا جون لأنـه كان فخورا بأن يكون له زوجة صغيرة تثير الاعجاب وكان يعرف أنها لاتمانع فى ذلك ٠٠ وربما فى الحقيقة تعجب بـه ٠

كان الوقت شهر يناير والهـواء باردا ، لكن من يعبأ بذلك ؟ لا نقطة ولا تيللى سلوبوى لأن السفر بالعربة كان أحلى متعة ، والطفل لا يبالى لأنه كان دافئا ونائما وماذا يريد الطفل الرضيع أكثر من ذلك ؟

وعندما وصلوا الى منزل كاليب ، كانت بيرثا الفتاة العمياء خارج الباب فى الانتظار لاستقبالهم ٠ وكانت ماى فيلدنج قد جاءت من قبل ، وكذلك أمها ٠

كانت الأم سيدة عجوز صغيرة الحجـــم دائمـة الشكوى وفاردة جسمها بشدة واستقامة ٠ وكانت تعتقد

انها كانت سوف تصبح غنية اذا ما حدث شيء ما لكنه لم يحدث مطلقا ، ونتيجة لذلك فهي تنظر للناس من عل وكأنهم ليسوا مثلها · وكان تاكلتون هناك محاولا أن يكون ظريفا ، أنيسا ، ولكنه كان مثل السمكة فى وسط الصحراء الكبرى ·

صاحت نقطة ، راكضة لمقابلة صديقتها :

ـ ماى صديقتي العزيزة ! يالها من سعادة لأراك !

وعندما أصبحت الاثنتان معا سويا جعلت منهما الأخرى تبدو أصغر وأجمل ·

لقد أحضر تاكلتون لحمه البارد ، والمدهش فى الأمر ، بعض الفاكهة أيضا · (« اننا لا نتزوج كل يوم ! ») وضعت مسز بيريبنجل الطعام الذى قد أحضرته معها على المائدة · ولم تسمح لكاليب أن يضيف من عنده أى شيء عليه ·

وهكذا جلسوا لتناول الطعام · وجلس كاليب

بجانب ابنته • ونقطة بجانب زميلتها فى الدراسة سابقا وجلس تاكلتون فى نهاية المائدة • وجلست تيللى سلوبوى على حده ممسكة الرضيع •

ولم يبد على تاكلتون الانسجام اطلاقا • فكلما ازدادت زوجة المستقبل بهجة فى صحبة نقطة ، ازداد هو غيظا وكمدا • فعندما تضحكان لايستطيع مشاركتهما الضحك ، وهكذا ظن انهما تضحكان عليه •

قالت نقطة :

ـ أوه ، ماى ! عزيزتى ، عزيزتى ، يالها من تغييرات ! ان التفكير والحديث عن أيام الدراسة المرحة تجعل الانسان يشعر بأنه صغير ثانية •

قال تاكلتون :

ـ حسن ، انك لست كبيرة جـــدا الآن ، اليس كذلك ؟

أجابت نقطة :

ـ انظر الى زوجى الوقور الجاد هناك انه يضيف عشرين سنة الى عمرى ، اليس كذلك ياجون ؟

اجاب جون :

ـ أربعون ٠

قالت نقطة ضاحكة :

ـ وكم سنة ستضيفها الى ماى يا مستر تاكلتون ؟ أنا لا أعرف بالتأكيد ! ان ماى لن تكون أقل من مائة سنة من العمر فى عيد ميلادها القادم !

قال تاكلتون :

ـ ها ! ها !

كانت ضحكة حانقة ونظر وكأنه يود قتل نقطة عن طيب خاطر ٠

قالت نقطة :

ـ عزيزتى ، عزيزتى ! مجرد التفكير فى الطريقة التى كنا نتحدث بها فى المدرسة عن الأزواج الذين

سوف نختارهم تثير العجب ! ··· كان الزوج الذى كنت اتحدث عنه صغيرا ، وسيما ، مرحـــا ، محبوبا للغاية ، اما بالنسبة لزوج ماى ··· أوه ، يا عزيزتى ! لا اعرف اذا كنت اضحك أم أبكى عندما افكر اية فتيات مجنونات كنا !

•

يبدو أن ماى عرفت ما تفعل ، لأن الدموع ظهرت فى عينيها ·

قالت نقطة :

ـ فكرنا قليلا فى كيف ستسير الأمور · لـــم افكر فى جـــون أبدا ، اكيد · واذا كنت قد قلت لك انك ستتزوجين مستر تاكلتون ··· لكنت ضحكت على ، او ربما كنت ضربتينى ، اليس كذلك ، ياماى ؟

ولم تقل ماى نعم ، كما لم تقل لا ·

وضحك تاكلتون · ضحك مقهقها · وضحك جون بيريينجل ايضا ، بطريقته المطمئنة العادية ·

قال تاكلتون :

ـ ما بايديكما حيلة ، فلم تقدرا على مقاومتنا ونحن هنا ، أما زملاء الدراسة الشباب أين هم الآن ؟

قالت نقطة :

ـ بعضهم الله يرحمهم ماتوا ، وبعضهم دخلوا فى عالم النسيان • وبعضهم ، اذا أمكن وقوفهم بيننا فى هذه اللحظة ، لن يصدقوا أننا نفس المخلوقات ، ولن يصدقوا أننا نسيناهم بهذه السهولة

قال جون

ـ معقول يانقطة ! يا أصغر السيدات !

لقد تكلمت بانفعال كالنار المتأججة حتى انه اندهش لها • وسكتت ولم تقل اكثر من ذلك ، لكـــن كان فى سكوتها انفعال غريب الذى لاحظه تاكلتون • وتطلع اليها بنصف عين ، واضعا فى اعتباره هذا الانفعال والاضطراب الزائدين •

وتكلمت أم ماى الآن ، قائلة :

ـ آه ، البنات هن البنات والماضى هو الماضى •



وتكلمت ام ماى فيلدنـج .

فالشباب طائش عديم التفكير دائما ، لكن الحمد لله فانى اجد ابنتي ماى ابنة مطيعة دائما • اما بالنسبة لمستر تاكلتون فهو زوج مناسب جدا من كل الوجوه ومن حسن الحظ أن يصاهر عائلتنا • وأعتقد أن مستر تاكلتون يعرف ذلك ، بالرغم من أننا لسنا أغنياء كما كنا ، فنحن أناس لطاف واذا كانت الأمور اختلفت قليلا لكنا أغنياء جدا فعلا • ولفترة لم تكن ابنتى ماى راغبة فى قبول مستر تاكلتون ، لكنها فى النهاية كانت عاقلة وحكيمة • واعتقد ان تلك الزيجات التى أقل ما فيها هذا الوهم الذى يسمى الحب هى أسعد الزيجات دائما • فالزواج الراسخ المستقر هو الأفضل •

كان اثر هذا الحديث أنهم أعطوا جميعا وبسرعة انتباههم الى الطعام الموضوع على المائدة • ملأ جون بيريبنجل الكئوس ونادى عليهم ليشربوا فى صحة تاكلتون وماى وسعادتهما المستقبلية قبل أن يقوم برحلته •

كان على جون أن يذهب أربعة أو خمسة أميال أخرى • وعندما يعود فى المساء سيعرج على نقطة ليرتاح بعض الوقت وهو فى طريقه الى بيته •

كان هناك اثنان لايشربان ••• نقطة وبيرثا • لذلك نهضتا بسرعة قبل الآخرين وتركتا المائدة •

قال جون بيريينجل مرتديا معطفه الثقيل :

ـ وداعا ، سوف أعود فى الحال • وداعا للجميع •

قال كاليب ، وكان يقف ناظرا لبيرثا بوجه مندهشا قلقا •

ـ وداعا ياجون •

وقال جون ، ، منحنيا ليقبل طفله :

ـ وداعا يابنى ، سيأتى الوقت الذى تخرج فيه فى البرد ، ياصديقى الصغير ، وتترك والدك العجوز ليستمتع بغليونه بجانب النار • أين نقطة ؟

فقالت قافزة :

ـ أنا هنا يا جون ·

قال :

ـ تعالى ، أين الغليون ؟

ـ أوه ، لقد نسيت الغليون ياجون سأعده لك فى الحال ·

نسيت الغليون ! هذا لم يحدث أبدا من قبل ! نسيت الغليون · لكن الغليون لم يعبأ فى الحال · واهتزت يدها كثيرا حتى أنها عبأته بطريقة سيئة للغاية · ووقف تاكلتون يتطلع اليها بنصف عين ·

قال جون مازحا :

معقول ! يالك من نقطة خائبة اليوم ! كان من الأفضل أن أملأه بنفسى ·

وبهذه الكلمات الضاحكة خرج ، وسمع صوته يداعب بوكسر والحصان العجوز الذى كانت الموسيقى تصدر منه مع هبوطه بالعربة الى الطريق ·

مازال كاليب واقفا يرلقب هذه الابنة للعميـــاء ، فقال برفق :

ـ بيرثا ، ماذا حدث ؟ ما الذى غيرك ، ياعزيزتى منذ الصباح ؟ لقد كنت صامتة وحـــزينة كل اليوم · ما الخبر ؟

فصاحت الفتاة العمياء باكية :

ـ أوه ، أبى أبى ! أوه اننى تعيسة جدا !

سحب كاليب يده عبر عينيه قبل أن يجيبها :

ـ لكن فكرى كم كنت مبتهجة وسعيدة دائمـــا يا بيرثا ! كم كنت طيبة ، وكم أنت محبوبة من كثيرن !

كان كاليب قلقا ويحاول فهم ابنته ، فقال :

ـ طبعا ، كونك عمياء يابيرثا يا حبيبتى المسكينة ، شىء فظيع لكن ···

فصاحت الفتاة العمياء :

ـ انا لم اشعر بذلك أبدا ، لم اشعر بذلك تماما ··· الا الآن · لقد تمنيت احيانا ان استطيع رؤيتك او أستطيع رؤيته مرة واحدة ، يا أبى العزيز ، حتى أعرف أن الصور التى لدى عنك وعنه فى صلواتى تشبه ماأنتما عليه فى الواقع · لكنى لم اصب بهذه المشاعر طويلا وهى تمر عابرة وتتركنى فى سلام ورضا ·

قال كاليب :

ـ وهذا ما سيحدث ثانية ·

قالت بيرثا :

ـ احضر لى ماى ، احضرها لى يا أبى !

سمعت ماى اسمها فجاءت بهدوء نحو بيرثا ، وحسست على ذراعها ··· فالتفتت الفتاة وامسكت بها بكلتا يديها ·

وقالت :

ـ لايوجد فى داخلى رغبة أو فكرة ليست فى

صالحك ياعزيزتى ماى · بارك الله فيك ، وأقول ذلك خصوصا لأن اليوم كاد قلبى يتحطم بمعرفة انك ستكونين زوجته · لقد فعل الكثير ، الكثير ليخفف عنى ضجر حياتى المظلمة · ولا أستطيع أن أتمنى له أكثر من ان يتزوج من زوجة مثلك تستحق طيبته و ···

فصاح والدها :

ـ يا الهى ! هل خدعتها من طفولتها المبكرة لأحطم قلبها أخيرا !

قبل أن تجيب ماى أو يقول كاليب أى كلمة أخرى جاءت نقطة بينهما قائلة :

ـ تعالى ، تعالى يابيرثا يا حبيبتى ، تعالى معى · أعطيها يدك ياماى وأباها الطيب سيأتى معها ··· أليس كذلك ياكاليب ؟

لقد قادت كاليب المسكين وابنته بيرثا بعيدا علهما يواسيان بعضهما البعض ، وكانت تعرف أنهما يقدران ، ثم تركتهما وعادت ·

وقالت وهى تسحب كرسيا قرب النار :

ـ تيللى ، اعطنى ابنى الحبيب الغالى • ما هى مسز فيلدنج التى ستقول لنا كل شىء عن تربية الأطفال اليس كذلك يامسز فيلدنج ؟

بالطبع كانت مسز فيلدنج سعيدة جدا لتعطيها كل النصائح والاقتراحات ، التى ، اذا عملت بها ، فسوف تدمر الصغير كلية حتى لو كان لديه صحة عملاق •

وبعد برهة من الوقت رجع كاليب وبيرثا • وجلس كاليب منكبا على عمله اليومى ، لكنه لم يستطــــع أن يركز فيه • جلس بيدين لا تعملان ، ناظرا الى بيرثــا وكانه يقول :

ـ هل خدعتها منذ نعومة أظفارها لمجرد تحطيم قلبها ؟

وجاء الليل ، واقترب الوقت لعودة متعهد النقل • وعندما سمعت نقطة صوت العجلات تغير مسلكها ثانية وجاء لونها وراح واصبحت قلقة جدا ، ليس قلـــق

الزوجات الصالحات عندما يسمعن قدوم ازواجهن ، لا لا ، انه نوع آخر من القلق ، نوع احر تماما

سمعت العجلات ... وقع اقدام الحصان ... الكلب . اقتربت الأصوات .

صاحت بيرتا ، وقفزت فجأة :

ـ خطوة من هذه ؟

قال جون ، والقا في المدخل :

ـ خطوة من ؟ . معقول ! انها خطواتى

قالت بيرتا :

ـ الخطوة الأخرى ، الرجل الذى خلفك

قال جون ، ضاحكا :

ـ انها لاتخدع ، تعال ياسيدى ، انا متاكد انك ستكون محل ترحيب

واثناء حديثه دخل السيد العجوز الحجرة

قال جون :

ـ يمكنه ان يبقى هنا ، أليس كذلك يا كاليب ؟ الى ان نذهب . قدم له كرسيا بجانب النار ودعه يجلس هناك . انه يرضى بقليله .

كانت بيرثا تستمع بانتباه شديد . ونادت كالبب الى جانبها وطلبت منه فى صوت منخفض :

ـ صف لى الزائر من فضلك .

وضع جون ذراعه حول كتفى نقطة واشار الـــى الرجل العجوز قائلا :

ـ انه ... ها . ها . ها ! انه معجب بك . انه لم يتكلم الا عنك طول الطريق

قالت ، بنظرة غير مريحة نحو تاكلتون :

ـ ليته كان لديه شىء افضل ليتكلم عنه .

قال جون :

ـ تعالى . فلنقضى نصف ساعة لطيفة مع ورق

اللعب بجانب النار · ستنضم مسز فيلدنج لى ، انا متأكد احضرى ورق اللعب يانقطة ·

وهكذا جلست السيدة العجوز وجون منهمكان فى اللعب ،.واعطى جون كل اهتمامه للورق · ولم يفكر فى شىء آخر حتى سقطت يد على كتفه فتطلع خلفـــه فرأى تاكلتون ·

قال تاكلتون :

ـ انا اسف أن أخرجك من لعبك ، لكنى اريدك فى كلمة فورا ·

قال جون ، ناظرا الى ورقة :

ـ هل هى هامة ؟

قال تاكلتون :

ـ انها هامة ، تعال هنا ·

كان على وجه تاكلتون شىء ما جعل جون ينهض فى الحال ويسأله فى عجلة :

ـ ما الامر ؟

قال تاكلتون :

هش ياجون بيريبنجل انا آسف لهذا انا اسف فعلا • لقد كنت اخشى من ذلك • وارتبت فيه من لبداية •

سأل جون ، باديا عليه الخوف :

ـ ما هو ؟

ـ هش ، ساريك اذا جئت معى

وذهبا عبر الساحة ودخلا من باب جانبى صغير الى مكتب تاكلتون وكانت هناك نافذة زجاجية فى المكتب التى يمكن منها رؤية حجرة المخزن التى تغلق فى الليل •

قال تاكلتون :

ـ هل تتحمل النظر عبر تلك النافذة ؟

فاجاب جون :

ـ ولم لا ؟

– والآن ، لا تقدم على اى شىء أحمق • فـلا فائدة • وهو شىء خطير • فأنت رجل قوى وقد ترتكب جريمة قتل قبل ان تعرف ما فعلت •

أخذ متعهد النقل خطوة طويلـــة نحو النافـذة ورأى •••

أوه ، أيتها الزوجة الغادرة ! .

رأى نقطة مع الرجل العجوز ••• الذى لم يعد عجوزا ، بل كان شابا واقفا منتصبا وممسكا فى يده بالشعر الأبيض المستعار الذى أمكنه به الدخول لبيتهما ورآها تستمع له بينما أحنى هو رأسه ليهمس فى أذنها ، ورآها تسمح له بوضع ذراعه حول خصـــرها أثنـاء تحركهما ببطء تجاه الباب الذى دخلا منه الحجرة • ثم رآهما يقفان ويستديران وجها لوجه ، ورآها وبيديهـا تضع تلك الأكذوبة على رأسه ، ضاحكة وهى تفعـــل ذلك •

لقد ارتدى جون بيريينجل معطفه وانشــغل مع

حصانه وطروده عندما جاءت نقطة الى الحجرة جاهزة للرحيل للبيت ·

ـ والآن ياجون ياحبيبى ، دعنا نقول لهم تحية المساء · تصبحين على خير يا ماى · تصبحين على خير يا بيرثا ·

كيف يمكنها ان تكون فى هذه البهجة في رحيلها ؟

كيف يمكنها ان تبين وجهها لهم بدون خجل ؟ وكان تاكلتون يراقبها عن كثب اثناء قيامها بكل هذا ·

وقالت :

ـ هيا يا تيللى اعطينى الطفل · تصبح على خير مستر تاكلتون · اين جون ؟

قال تاكلتون وهو يساعدها فى ركوب العربة ·

ـ انه سيمشى بجوار راس الحصان ·

ـ عزيزى جون ، يمشى ؟ الليلة !

واعطى زوجها ايماءة صامتة · وتحرك الحصان !!

الفصل الثالث

دقت الساعة العاشرة · وجلس متعهد النقل بجوار المدفأة ·· كان مضطربا وحزينا للغاية حتى انه كان يبدو وقد افزع الطائر فى الســاعة ، لأنه قطــع زقزقته « كوكو ــ كوكو ــ كوكو » واختصرها قدر الامكان وعاد بسرعة واغلق الباب وراءه :

كانت النار الآن باردة ومعتمة · وبدات تستيقظ داخله افكار اكثر عنفا مثل الريح الغاضبة التى تهب فى الليل · كان الغريب تحت سقفه ··· خطوات ثلاث توصله لباب حجرته وضربة واحدة تنهى المســألة « قد ترتكب جريمة قتل قبل آن تعرف مافعلت » ··· ذلك ما قالته تاكلتون · كيف تكون جريمة قتل اذا منح الشخص فرصة قتال عادل معه ؟



وجلس متعهد النقل جاثياً بجوار المدفأة

كان الغريب شابا صغيرا ٠

كان شابا صغيرا ! نعم ، نعم ، المحب الذى قد فاز بالقلب الذى لم يفز به هو ٠٠٠ محب من اختيارها الأول الذى كانت تفكر فيه وتحلم به بينما كان يتخيل هو انها فى غاية السعادة فى كنفه ٠

كانت هناك بندقية معلقة على الحائط ، فانزلها وخطى نحو باب حجرة الغريب ٠ كان يعرف ان البندقية معمرة ٠ كانت لديه فكرة مبهمة انه سيكون محقا فى اطلاق النار على هذا الرجل مثل حيوان برى ٠ ورفع البندقية الى كتفه وصاح :

ـ اقتله ! فى سريره !

وفجأة اشتعلت النار وتأججت وألقت بوهج من النور داخل الحجرة ، وقال « فرقع لوز » :

ـ تشيرب !!

كان لايمكن لصوت ان يحـــركه ويخفف عنه ،

لاصوت انسانى ولا حتى صوتها ، بهذا الشكل • ذلك الصوت مكونا موسيقى بيتية عند مدفاة رجل شريف يناشده العودة لطبيعته الأفضل ويوقظها للحياة والعمل •

وخطا متراجعا عن الباب مثل رجل يمشى فى نومه واستيقظ من حلم مزعج • ووضع البندقية جانبا • ثم وضع يديه أمام وجهه وجلس ثانية بجوار النار وبكى •

وطوال الليل كان « فرقع لوز » المخلص يسقسق تشيرب - تشيرب - تشيرب فوق المدفأة •• وطوال الليل استمع الى صوته وهو يستدعى وجه نقطة المرح أمام عينيه ، مرددا صوتها الرقيق ، مفصحا عن حبها الحنون ويدعى لها •

ونهض عندما جاء نور الصباح ، واغتسل وغير ملابسه • انه يوم زفاف تاكلتون ولقد رتب لرجل آخر أن يخرج مع العربة • وقصد أن يذهب مبتهجا الى الكنيسة مع نقطة ، لقد كانت مثل هذه الخطط عاجزة

اذ كان اليوم ذكرى زفافهما أيضا · آه ، انه لم يفكر كثيرا فى مثل هذا الختام لسنة كهذه !

توقع متعهد النقل أن يمر تاكلتون عليه فى زيارة مبكرة ·

وكان على حق · ورأى تاجر اللعب قادما فى عربته صاعدا الطريق ، وعندما اقتربت العربة لاحظ أن تاكلتون يرتدى أفضل ملابسه ولقد وضع زهورا على راس حصانه · والغريب أن الحصان كان يبدو مناسبا للزفاف أكثر من تاكلتون التى كانت عينه نصف المقفلة بغيضة كما هى عليه دائما ·

قال تاكلتون :

ـ حسن ـ جون بيريبنجل ، ياصديقى الطيب ، كيف تشعر هذا الصباح ؟

فأجاب متعهد النقل ، هازا رأسه :

ـ لقد قضيت ليلة سيئة يامستر تاكلتون · لقد أصبت باضطراب كبير فى ذهنى ، لكنى تغلبت عليه

الآن ! هل يمكنك الاستغناء عن نصف ساعة من وقتك لاحدثك ؟

اجاب تاكلتون ، نازلا من عربته :

ـ جئت عن عمد من اجل ذلك · لاتعبأ بالحصان انه سيقف هادئا ·

عندما دخلا المنزل كانت تيللى سلوبوى تدق على باب حجرة الغريب · كانت تدق عاليا جدا وكان باديا عليها الفزع ·

قالت تيللى ، ناظرة حولها :

ـ لا استطيع ان اجعل اى احـــد يســـمعنى ، اتعشم الا يكون قد مات احد ·

قال تاكلتون :

ـ هل لى ان ادخل · هذا مثير للفضول ·

فاشار له متعهد النقل بالدخول اذا رغب ، وهكذا دخل تاكلتون · ودق هو ايضا الباب لكن لم ياته جواب

لذلك أدار مقبض الباب فانفتح بسهولة · ودخل ، ونظر ثم خرج راكضا ثانية ·

وهمس تاكلتون فى أذن جون :

ـ جون بيريبنجل ، أتعشم الا يكون قد حدث شيء سخيف بالليل ؟

فتطلع متعهد النقل اليه ·

قال تاكلتون :

ـ لأنه قد اختفى · النافذة مفتوحة ، لكنى لا أرى أى علامات · وأخشى ان يكون قد وقع قتال هنا ، ايه ؟

قال متعهد النقل :

ـ لا تخف ، فلقد دخل تلك الحجرة ليلة أمس دون اساءة بكلمة أو فعل منى ، ولم يدخلها أحد من وقتها · لقد رحل بارادته الحرة · لقد جاء ورحل · ولقد انتهيت منه !

قال تاكتلون ، مع ضحكة مقرفة وهو يجلس :

ـ أوه ... حسن ، اعتقد أنه قد نجى من العواقب بسهولة .

لم يبد على متعهد النقل انه سمع هذا لكنه جلس هناك مخفيا وجهه بيده لبرهة من الوقت قبل أن يتكلم وقال عندئذ :

ـ ليلة امس جعلتنى ارى زوجتى ... زوجتى التى احبها ... تلتقى سرا مع رجل على انفراد .

قال تاكلتون :

ـ اعترف انى كانت لدى شكوكى دائما .

قال جون :

ـ لكن كما رايتها ، زوجتى التى احبها ، تفعل ذلك ، فمن الانصاف ايضا أن ترى ايضا بعينى انا داخل قلبى وتعرف ما قررته فى الموضوع ... لأنى سويت الأمر واتخذت قرارى ولن اتزحزح عنه الآن .

وتمتم تاكلتون بكلام عن ضرورة عمل شىء ما .

قال متعهد النقل :

ـ اني رجل خشن صريح · وأحب نقطتي الصغيرة وكثيرا ما فكرت في اني لست طيبـــا ما فيه الكفـاية بالنسبة لها · وفكرت اني ساكون زوجا كريما لها · وعرفت حبي لها ومدى سعادتي ، لكني لم اعتبرها مافيه الكفاية ··· وانا اشعر بذلك الآن ··

قال تاكلتون :

ـ طبعا ، الحماقة وحب الاعجاب ! لا اعتبار لهما ! ها !

قال متعهد النقل ، بحدة :

ـ من الأفضل الا تتكلم حتى تفهمني ·

فحملق تاجر اللعب فيه بتعجب ودهشة ·

فقال متعهد النقل :

ـ انا لم اعتبر اخذي لها في سنها ، ومع جمالها ، ومن زملائها الشبان · انا لم اعتبر قلة ملاءمتي لقلبها المرح السعيد ، وكم هو مرهق رجل بطيء متجهم مثلي

ازاء واحدة لها روحها السريعة الوثابة لماذا اعتبرت ان لى مطلبا خاصا عليها لأنى احببتها ، فى حين لابد لكل شخص ان يحبها ، كل شخص عرفها ؟ لقد اقتنصت ميزة طبيعتها السعيدة المفعمة بالأمل وتزوجتها · اتمنى لو لم افعل ··· لكان ذلك افضل لها ، وليس لى ·

حملق تاجر اللعب فيه بعينين مفتوحتين فى اتساع ·

قال متعهد النقل المسكين بشعور ازيد مما ابداه من قبل :

ـ لقد حاولت ، بدأت أعرف الآن فقط كم حاولت وبذلت من جهد لتكون زوجة صالحة ، كم كانت طيبة ! وكم قدمت من افعال ، وكم لديها من شجاعة وقوة ! والسعادة التى عرفتها تحت السقف هى اكبر دليل · وستكون ذكرى تلك السعادة بعضا من المساعدة والسلوى لى عندما اكون هنا وحدى ·

فاستفسر تاكلتون :

ـ هنا وحدك · أوه ، اذن انت سوف تأخذ بعض الاجراءات ؟

اجاب متعهد النقل :

ـ اقصد ان اقدم لها اعظم كرم ، اقوم بافضل تعويض لها فى طاقتى · ساحررها من الألم اليومى لهذا الزواج غير المتكافىء والصراع فى اخفائه · ستكون حرة قدر استطاعتى ·

فصاح تاكلتون :

ـ تقدم تعويضا لها ! لابـد من وجود شىء ما خطا هنا · انك لم تقل ذلك ، طبعا ! ···

وضع متعهد النقل يديه على كتفى تاجر اللعـب وهزه قائلا :

ـ استمع الى ، وضع فى اعتبارك ان تستمع لى بشكل صحيح · هل اتكلم بوضوح ؟

فاجاب تاكلتون :

ـ فى غاية الوضوح حقا ·

ـ واعنى كلامى ؟

ـ وتعنى كلامك جدا !

قال متعهد النقل :

ـ جلست بجوار النار ليلة امس ، هنا حيث اعتادت ان تجلس بجانبى وجهها الحلو يتطلع الى وجهى واستدعيت حياتى كلها فى ذهنى ، يوما بيوم ، واقسم أننى انا الذى يجب ان احاكم وليست هى ، لأنها لم تقترف اى خطأ !

لقد قام « فرقع لوز » المخلص بعمله جيدا ··

قال متعهد النقل ·

ـ وانزاح عنى الغضب وعدم الثقة ، ولم يبق لا حزنى · انها لحظة تعيسة ، لقد عاد محب سابق مناسب لميولها اكثر منى ·· لقد تركته ربما بسببى

ضد ارادتها · وفى لحظة تعيسة ، مباغتة وتحتاج لوقت للتفكير فيما فعلته ، قابلته سرا كما راينا ليلة امس · كانخطا منها ان تفعل ذلك ، لكن خلاف تلك السرية ، فهى لم تفعل اى اساءة ·

بدا تاكلتون يقول :

ـ اذا كان ذلك رايك ···

قال متعهد النقل :

ـ لذلك سادعها تذهب ، سادعها تذهب مع بركاتى للساعات السعيدة العديدة التى منحتها لى وغفرانى لأى اسى قد سببته لى · وهذا هو اليوم الذى اخذتها فيه من منزلها دون ان افكر كثيرا فى سعادتها · واليوم سوف تعود له ولن ازعجها بعد الآن · وسيكون والدها ووالدتها هنا اليوم ··· فلقد خططنا أن نقضى اليوم سويا ··· وسياخذونها معهما · وستظل شابة صغيرة عندما اموت ، وللعجب اننى فقدت بعض الشجاعة فى هذه الساعات الأخيرة · وستجد اننى قد تذكرتها

واحببتها الى النهاية · وهذه هى نهاية ما جعلتنى اراه والآن هذا هو الختام ·

ـ أوه ، جون ، لاتقل انه الختام ·· ليس بعد انتظر ساعة واحدة ··· ساعة واحدة فقط ·

كانت نقطة قد دخلت بعد قدوم تاكلتون مباشرة وبقيت هناك ·

لم تنظر الى تاكلتون لكنهـا ثبتت عينهـا على زوجها ·

قال متمهد النقل ·

ـ فليكن ماتريد ياعزيزى ، فساعة واحدة لـن تفرق ·

قال تاكلتون :

ـ حسن ، لابد أن أذهب ، لأنى فى غضون ساعة ساكون فى طريقى الى الكنيسة · أودعك مؤقتا ياجون بيريينجل ، وآسف أن أخسر صحبتك ·

قال متعهد النقل ، ذاهبا معه الى الباب :

ـ لقد تكلمت بصراحة ، أليس كذلك ؟

ـ أوه ، تماما ٠

ـ وستذكر ما قد قلته ؟

فأجاب تاكلتون :

لابد أن أقول أن ذلك كان غير متوقع اطلاقا ، لكنى لا أعتقد أنى سأنساه ٠

قال متعهد النقل :

ـ أفضل لنا نحن الاثنان ، مع السلامة ٠ مع تمنياتى بالسعادة ٠

قال تاكلتون :

ـ اتمنى ان أقول لك نفس الشىء ، لكنى لا أستطيع ٠

وقف متعهد النقل يتطلع اليه الى ان اصبح أصغر

واصفر فى المدى البعيد • ثم ذهب ومشى فى الغابة القريبة ، غير راغب فى العودة الى أن مرت الساعة •

وبقيت الزوجة الصغيرة ، تبكى • ثم جففت عينيها ، وقالت :

ـ كم هو طيب ! ياله من طيب !

ثم ضحكت ، ضحكت فى مرح وكأنها قد فازت بنصر ما •

مرت الساعة • ثم جاءت تيللى اليها ، وهى تقول :

ـ ان كاليب بلامار يقود بيرثا ، وهما فى الطريق الينا •

قالت بيرثا :

ـ مارى ! ألم تذهبى للزفاف ؟

لم تكن بيرثا ، طبعا ، تنادى مسز بيريبنجل (نقطة) ••• كانت تناديها باسمها الحقيقى ، مارى •

قال كاليب :

ـ لم تستطع بيرثا البقاء في البيت هذا الصباح • كانت تخاف أن تسمع دق الأجراس ، لذلك خرجنا فى الوقت المناسب وجئنا هنا • لقد أخذت ألوم نفسى على الألم الذى قد سببته لها ولقد قررت أن أخبرها بالحقيقة اذا بقيت معى وأنا أقوم بذلك •

وسأل :

ـ ستبقين معى قليلا ؟ فلا أدرى ما سيكون أثر ذلك عليها ، لكن من الأفضل لها الا تخدع •

وذهب والدها بجانب ابنته العمياء بينما ظلت نقطة فى الجانب الآخر ، ممسكة بيدها •

قال كاليب :

ـ بيرثا ، حبيبتى ، أريد أن أقول لك بشىء فى ذهنى بينما نحن ثلاثتنا وحدنا هنا • اسمعينى ، فلدى اعتراف أريد أن أبوح به لك يا أعز الناس •

ـ اعتراف يا ابي ؟!

قال كاليب :

ـ لقد انحرفت عن الحقيقة وتاهت قدماى ، ياطفلتى • قصدت ان اكون رحيما بك ، لكنى كنت متحجر القلب قاسيا • كان طريقك فى الحياة وعرا ، يا ابنتى المسكينة ، واردت ان اسهله لك • فغيرت الأشياء ، كما غيرت شخصيات الناس • ولقد اخترعت اشياء كثيرة ولم تكن موجودة ابدا ، لمجرد ان اجعلك اكثر سعادة • ولقد اخفيت اشياء عنك ، فليسامحنى الله ، واحطتك بالأوهام •

قالت الفتاة العمياء :

ـ لكن الناس الأحياء ليسوا اوهاما ، فلا تستطيع ان تغيرهم •

قال كاليب :

ـ لقد فعلت ذلك يا بيرثا • فالزواج الذى يتم اليوم هو لرجل بارد قاس • لقد كان صاحب عمل ، كان

ظالما لى ولك لسنين طويلة · انه قبيح فى مظهره وفى مخبره بارد الشعور دائما : انه يختلف تماما بل على النقيض لما كنت اقوله لك ، يا ابنتى ، فى كل شىء ·

فصاحت الفتاة العمياء :

اوه ، معقول ! هل ملأت قلبى بهذا الشبح ثم تاتى مثل الموت وتمزق موضع حبى ؟ اوه ، يا الهى ، كم انا عمياء ، لم انا عاجزة ووحيدة !

جلس ابوها المسكين صامتا فى أعماق اسفه ، وهى غارقة فى ياسها ·

عندئذ بدا « فرقع لوز » على الموقد يسقسق ، لا بمرح لكن بطريقة خافتة باهتة بهـــا أسى · وكان صوته الضئيل وكانه يريد ان ينبىء عن السلوى والسماح والفهم ·

وقالت الفتاة العمياء :

– مارى ، اخبرينى ما شكل بيتى فى الحقيقة ·

قالت نقطة فى صوت خافت واضح ٠

ــ انه مكان فقير بيرثا ، فقير جدا وخـــال من الأثاث ٠ والمنزل لا يمكنه أن يقاوم ريح ومطر شتاء آخر يابيرثا انه مثل أبيك في معطفه المصنوع من كيس من الخيش ٠

قالت بيرثا ٠

ــ وتلك الهدايا التى أعتنى بها ، وأعتز بها ٠٠٠ من اين اتت ؟ هل أنت التى بعثت بها ؟!

ــ لا ٠

ــ من اذن ؟

وسكتت نقطة ٠

قالت الفتاة العمياء ثانية ٠

ــ عزيزتى مارى ، انك لن تخدعينى الآن ٠ ان لديك كثيرا من الشفقة على ٠ أنظرى الى حيث يجلس ابى ٠٠٠ قأبى مملوء بالشفقة والحب لى ٠ قولى لــى ما ترين ٠

قالت نقطة :

ـ ارى رجلا عجوزا جالسا على كرسى مريح وجهه على يده ، وكأن ابنته يجب أن تواسيه يا بيرثا ·

ـ نعم ، نعم · ستفعل · استمرى ·

ـ انه رجل عجوز ، مرهق بالهم والعمل · انه حزين مستغرق فى التفكير ، أشيب الشعر · لكن يابيرثا لقد رأيته مرات كثيرة من قبل ، يكافح بطرق عديدة ليخدم الهدف الوحيد العظيم الذى يحبه افضل من كل شىء ، وانا احترم شيبته واباركه ·

فالقت الفتاة العمياء بنفسها على ركبتيها امام ابيها ·

وقالت :

ـ لقد عاد بصرى الى · لقد كنت عمياء والآن تفتحت عيناى · انا لم اعرفه ابدا · انا لم ار الأب الذى احبنى بهذا الشكل بصدق ابدا !

قال كاليب بحنان :

ـ ابنتى بيرثا ! لقد رحل الأب الوسيم ذو المعطف الأزرق يابيرثا ، لقد رحل !

فأجابت :

ـ لا شىء رحل يا أغلى أب · كل شىء هنـا فيك · انا لم أعد عمياء يا أبى ·

لقد ثبتت نقطة كل اهتمامها فى الأب والابنة لكن الآن ، ناظرة للساعة ، رأت أن الساعة على وشـك الانتهاء ، وفى الحال أصبحت قلقة ومضطربة ·

قالت بيرثا :

ـ يا أبى ، لايوجد تغير فى مارى ، أليس كذلك ؟ انك لم تقل لى أبدا أى شىء عنها ليس حقيقيا ؟

قال كاليب :

ـ اذا كنت قد غيرت منها ، فلابد انى غيرتهـا للأسوأ ، لأن لاشىء يمكن ان يجعلها أفضل يا بيرثا ·

قالت نقطة :

ـ قد تحدث تغييرات اكثر مما تعتقدين قريبا جدا ، ياعزيزتى · تغييرات للأفضل ، تغييرات لفرح عظيم لبعض منا ، لكن لايجب ان تجعليها تدهشك كثيرا ··· هل تلك عجلات على الطريق ؟ ان لديك اذنين حادتين يا بيرثا ··· هل هى عجلات ؟

ـ نعم ، انها تأتى مسرعة ·

قالت نقطة واضعة يدها على قلبها :

ـ انا ··· انا ··· اعرف أن لك اذنين حادتين لأنى لاحظت ذلك كثيرا · لقد لاحظت ذلك لأنك اكتشفت بسرعة الخطوة الغريبة ليلة مس ، عندما قلت ، (خطوة من تلك ؟) على الرغم من ان لديك سببا فى ان تلاحظى تلك الخطوة اكثر من اى خطوة اخرى !

تساءلت كاليب ما معنى هذا · انها تبدو منفعلة للغاية ·

وقالت :

ـ توجد عجلات ، تقترب ! اكثر ! واكثر ! والآن

تسمعيها تقف عند بوابة الحديقة • والآن تستطيعين سماع خطوة خارج الباب ! إنها نفس الخطوة ، يابيرثا أليس كذلك ؟ ••• والآن ! •••

وأطلقت نقطة صرخه جامحة من السعادة ، ثم ركضت الى كاليب ووضعت يديها على عينيه اثناء اندفاع شاب يافع داخل الحجرة ، ملقيا قبعته فى الهواء •

وسألت :

ـ هل انتهى الأمر ؟

ـ نعم !

ـ بسعادة ؟

ـ نعم !

ـ هل تذكر الصوت ، أيها العزيز كاليب ؟ هل سمعت هذا الصوت من قبل ؟

قال كاليب :

ـ اذا كان ابني فى جنوب امريكا حيا ···

فصرخت نقطة ، رافعة يديها عن عينيه :

ـ انه حى ! أنظر اليه ! أنظر حيث يقف امامك ، قويا معافى ، ابنك فلذة كبدك ··· اخوك العزيز الحى الحبيب يا بيرثا !

وفتح الباب الصغير فى الساعة · وخرج الطائر الصغير ··· وقال :

ـ كوكو ! كوكو !

اثنتا عشرة مرة للصحبة وكأنه قد اسكرته الفرحة

وتوقف متعهد النقـــل فجأة عند دخولـــه من الباب ·

وقال كاليب :

ـ انظر ياجون ! انظر هنا ! انه ولدى ، ادوارد من امريكـــا الجنوبية ! ولدى ! انك ســـاعدته وقمت بتوصيله بنفسك ، وكنت صديقا له دائما !

وتقدم متعهد النقل ليصافحه · ثم توقف ··· شيء ما في وجه الشاب أيقظ ذاكرته عن الغريب ··· الرجل العجوز في العربة ، فقال :

ـ ادوارد ! هل كنت أنت ؟

صاحت نقطة :

ـ والآن أخبره بكل شيء ! أخبـره بكـل شيء يا ادوارد !

قال ادوارد :

ـ لقد كنت أنا الرجل · وعندما تركت هنا صبيا كنت أحب ، وحبي قد عاد · كانت فتاة صغيرة جدا وربما لم تعرف وجهة نظرها · لكني عرفت وجهة نظري وأحببتها · وعدت وكلي أمل بعد مشاكل وصعاب كثيرة لأحقق وعدنا الذي عاهدنا أنفسنا عليــــه · وعندمـــا أصبحت على بعد عشرين ميلا من هنا سمعت أنها قد نسيتني ، وأنها في طريقها للزواج من شخص آخر ، رجل أغنى · ولم أقصد أن ألومها ، لكني تمنيت أن

اراها ، واتأكد من الحقيقة · وكان أملى أن تكون قد اضطرت لذلك ضد رغبتها · واردت ان احصل على الحقيقة الحقيقة الواقعية ، وارى بنفسى ، دون ان اظهر نفسى لأن رؤيتى قد تؤثر عليها · لذلك تخفيت فى شكل رجل عجوز وانتظرت على الطريق ··· وانت تعرف المكان · ولم يكن لديك اى شك فى ، ولا هى ايضا ···

واشار الى نقطة ثم قال :

ـ الى ان همست فى اذنها عند الموقد ·

قالت نقطة :

ـ كنت أعرف ، ان صديقه القديم جون بيريبنجل صريح بطبيعته ولا يقدر على الاحتفاظ بسر · وقلت لادوارد أن ماى حبيبته ، قد اعتقدت أنه مات ، وانها اخيرا تحت ضغط امها ستتزوج · وقلت له انهما لم يتزوجا بعد ، ولكنهما على وشك ذلك قريبا جدا ، وذهبت وتحدثت مع من يحب ، ماى ، لأتأكد من صحة ما افكر فيه ، وكان صحيحا ياجون ! لقد نشأ سويا ! ولقد

تزوجا منذ ساعة واحدة ، وها هى ، الزوجة المتزوجة حديثا !

وتحرك جون نحوها ، لكنها مدت يدها لتوقفه . وقالت :

- لا ياجون ، انتظر حتى تسمع كل كلمة اريد ان اقولها . كان خطأ ان احفظ سرا عنك ياجون . انا اسفة جدا . انا لم اعتقد أنه سيسبب أى ضرر حتى رايتك جالسا بجوار النار ليلة امس ورايته مكتوبا على وجهك انك قدرايتنى فى حجرة الخزين مع ادوارد ، وعرفت ما فكرت فيه . أوه يا عزيزي جون ، كيف يمكنك ... كيف يمكنك أن تفكر هكذا !

كان جون بيريينجل سيمسكها من ذراعيها لكن لا ، انها لم تدعه .

- لا تمبنى بعد أرجوك ياجون ! كنت حزينة بخصوص هذا الزواج المعد والذى كان على وشك ان يتم ، وذلك لأننى تذكرت ماى وادوارد ، هذين الحبيبين

الصغيرين · وعرفت أن قلبها بعيدا عن تاكلتون عزيزى جون ، لقد أحببتك كل يوم وكل ساعة أكثر وأكثر ، واذا كنت أستطيع أن احبك افضل مما أفعل ، فتلك الكلمات النبيلة التى سمعتها وأنت تقولها هذا الصباح كان يمكنها أن تجعلنى كذلك .

وسمعت أصوات العجلات مرة أخرى خارج الباب وصاح أحدهم قائلا أن تاكلتون قادم ·

قال تاكلتون ، داخلا الحجرة :

ـ ما هذا ياجون بيريبنجل ؟ يوجد خطأ ما ! لقد رتبت أن الآنسة فيلدنج ، مسز تاكلتون المستقبله ، تقابلنى عند الكنيسة ، ولكنى علمت أنها هنا ! عجيبة !

ثم التفت الى ادوارد وقال :

ـ عفوا يا سيدى ، ليس لدى السرور بالتعرف عليك، لكن اذا أمكنك الابتعاد عن هذه السيدة الصغيرة فلديها شىء مهم جدا تقوم به هذا الصباح ·

فاجاب ادوارد :

ـ لكنى لا أستطيع الابتعاد عنها ·

وامسك يد ماى ورفعها مظهرا خاتم الزواج فى اصبعها ، وقال :

ـ هذه السيدة الصغيرة لاتستطيع الذهاب معك الى الكنيسة ، لأنها قد ذهبت مرة بالفعل هذا الصباح ·

نظر تاكلتون الى اصبع ماى · ثم أخذ قطعة ورق من جيبه وكان بها خاتم ، وقال :

ـ انسة سلوبوى هل تسمحين ان تلقى هذه فى النار ؟ وشكرا لك ·

قال ادوارد :

ـ انه كان وعدا مسبقا أخذناه من مدة طويلة مدة طويلة جدا ، الذى منع زوجتى من الوفاء بوعدها لك ·

قالت ماى :

ـ مستر تاكلتون يعرف · لقد قلت له باخلاص · قلت له مرات كثيرة انني لا أستطيع أن أنساك أبدا ·

قال تاكلتون :

ـ أوه ، بالتأكيد ، أوه ، وهو كذلك ···· مسز ادوارد بلامار ، على ما أظن ؟

قال ادوارد :

ـ نعم ، ذلك هو اسمى ·

فانحنى تاكلتون ، قائلا :

ـ أتمنى لك السرور يا سيدى !

ـ شكرا لك ·

قال تاكلتون :

ـ مسز بيريبنجل ·

واستدار الى حيث كانت تقف مع زوجها واستمر قائلا :

ـ انا آسف لما فكرت ، انك أفضل من تفكيرى ٠ جون بيريينجل ، انا آسف ٠ سيداتي سادتي عمتم صباحا جميعا !

ومع هذه الكلمات خرج ٠ ووقف خارج البـاب ليرفع الأزهار من فوق راس حصانه ، ثم أعطى الحصان رفصة لعله يفهم ان شيئا ما قد تغير فى ترتيباته ٠

ومشوا حول البيت الى منزل كاليب ليجدوا مسز فيلدنج ٠ وفى البداية لم تكن تريد ان تستمع لما كانوا يقولونه ، وكان جوابها الوحيد :

ـ احملونى الى قبرى الآن !

لكن بعد بعض الوقت اصبحت هادئة جدا وقالت طالما أن الأمور لم تحدث حسب المفروض وطالما ان مالها قد ضاع فهى تعرف أن كل حياتها ستكون مليئة بالخجل والتعاسة ٠

ثم اصبحت غاضبة ثائرة ، وبعد ذلك اصبحت حزينة وسالت لماذا لم يخبروها ٠ ثم قبلتهـا ماى ،

وبمساعدة ادوارد احضرتها الى منزل جون بيريينجل ٠

تأخر والد ووالدة نقطة ، لكنهما وصلا اخيرا ٠ ثم جلسا ليشاركا فى وليمة الزفاف ، وبعد العشاء غنى كاليب أغنيته الصاخبة من أولها الى آخرها ٠

وعندما انتهى من الأغنية جاء طرق على الباب ٠ ودخل رجل حاملا شيئا ثقيلا على رأسه ٠ ووضع حمله فى وسط المائدة ، وقال :

ـ مستر تاكلتون يبعث بهذه فلا فائدة منها بالنسبة له الآن ٠ وربما تأكلونها ٠

ثم خرج ٠

قامت ماى بتقطيع الكعكة ، وما كادوا يشرعون فى أكلها عندما ظهر نفس الرجل ثانية وتحت ابطه صرةكبيرة ، وقال :

ـ لقد أرسل مستر تاكلتون بعض اللعب للطفل ٠ انها ليست العابا قبيحة ٠

وخرج . وبعدها على الفور جاء طرق آخر على الباب ، ودخل تاكلتون نفسه ، وقال وقبعته فى يده :

ــ مسز بيريبنجل ، انا آسف . اننى اكثر اسفا عما كنت هذا الصباح ، وكان لدى فســـحة من الوقت لأفكر فى الموضوع . انت تعلم ياجون بيريبنجل اننى رجل جامد بالطبيعة لكنى لا استطيع أن اقاوم التهذيب عندما اقف وجها لوجه مع رجل مثلك ، انا خجل من التفكير فى كيف عن لى بسهولة أن اربط هذه الفتـــاة الصغيرة والجميلة بى . أيها الأصدقاء ، ان منزلى يبدو خاويا جدا الليلة . فليس لدى « فرقع لوز » على الموقد فلقد طردتهم جميعا ! كونوا كراماً معـى واسمحوا لى بمشاركتكم هذه الحفلة السعيدة .

وبعد ذلك فورا بدأوا فى الرقص . وأخذ متعهد النقل نقطته وأخذ يرقص فى وسط الحجرة .



وبدأوا جميعا فى الرقص ٠

وذهب تاكلتون الى مسز فيلدنج واحـــاطها من خصرها • ورقصت والدة نقطة مع والد نقطة ، واخذ كاليب تيللى سلوبوى من كلتا يديها •

وانضم « فرقع لوز » للرقص بموسيقاه :

ـ تشيرب ـ تشيرب ـ تشيرب ••• !!

رقم الايداع ٩٩/ ٩٦١٣

I.S.B.N 977 - 01- 6226-4

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب